سورة المؤمنون

(٢٨٣) قوله تعالى :﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٠

وقال في قوله: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾

هي: الزيتونة: ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ ﴾[١].

﴿ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴾

قال: هو: الزيت يصطبغ به[٢].

الدِّراسة:

المراد بالشَّجرة في قول المفسِّرين الزيتونة، يخرج منها الزيت يأتدمون به عند الأكل[٣].

قال الواحدي: وأجمع المفسِّرون كلهم على أن هذه شجرة الزيتون[٤].

وهذه الشَّجرة هي الغالب ذكرها في القرآن مع النخيل والأعناب والرمان، وينطبق عليها ما ذكر في الآية من وصف، قال تعالى :﴿ سَبَإٍ فَاطِرِ يسٓ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صٓ ٱلزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ ﴾الأنعا م: ٩٩﴿ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱلرُّومِ لُقْمَٰنَ ٱلسَّجْدَةِ ٱلْأَحْزَابِ ﴾الأنعام : ١٤١ ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ ﴾النحل: ١١﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ التين: ١.

---

(١) مجالس ثعلب١/١٦٤

(٢) مجالس ثعلب١/٢٣٠

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/٢٣٢-٢٣٣، وجامع البيان، للطبري١٧/٢٨، ٣٣، والتفسير البسيط ١٥/ ٥٥٨، ٥٤٧، وزاد المسير٥/٤٦٥، ٤٦٨

(٤) التفسير البسيط١٥/٥٤٧

(٢٨٤) قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٤

وفي التنزيل: ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴾ وقال ثعلب: هو رفع الصوت إليه بالدعاء ، وجأر الرجل إلى الله عز وجل إذا تضرع بالدعاء [١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة.

وهو قول جمهور المفسِّرين[٢].

الثاني: الجزع.

روي عن ابن زيد، والرَّبيع بن أنس[٣].

النتيجة:

الأول أولى لأنه المناسب مع قوله :﴿ لَا تُنصَرُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٥، والمستغيث يطلب النُّصرة والمساعدة فأجيب بقوله تعالى:﴿ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٥

قال الراغب: جأر: إذا أفرط في الدعاء والتضرع، تشبيهاً بِجُؤار الوحشيات، كالظباء ونحوها[٤].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٧/٤٨٣، ولسان العرب٤/١١٢

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٢/٢٣٩، وجامع البيان، للطبري ١٧/٧٧، و التفسير البسيط ١٦/٢٠، وزاد المسير٥/٤٨٢، وتحفة الأريب، وعمدة الحفاظ، مادة(ج أ ر)

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٧٨

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(ج أ ر)، وينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ج أ ر)

(٢٨٥) قوله تعالى :﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

المؤمنون: ٦٦

﴿ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴾

يقال: نكص إذا رجع إلى خلفه[١].

الدِّراسة:

النُّكوص: الإحجام عن الشيء، وهو بمعنى التأخر والرجوع، نكصا ينكص نكوصاً، إذا تأخر ورجع[٢].

وعلى هذا جاء قول المفسِّرين في معنى النُّكوص: رجع عن سماعها وتأخر عن الامتثال[٣].

(١) مجالس ثعلب١/١٩٦

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ن ك ص)

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٢/٢٣٩، ومجاز القرآن ٢/٦٠، وغريب القرآن، لليزيدي :٢٦٦، وجامع البيان، للطبري١٧/٧٩، والتفسير البسيط١٦/٢٢، ومفردات ألفاظ القرآن، وتحفة الأريب، وعمدة الحفاظ، مادة(ن ك ص)

(٢٨٦) قوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ المؤمنون: ٧١

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ ،قال ثعلب: الحق هنا الله عز وجل[١].

الدِّراسة:

المراد بـــ(الحق) في الآية:

الأول: الله عز وجل.

وهذا قول جمهور المفسِّرين[٢].

الثاني: التنزيل.

قاله الفرَّاء[٣]، والزَّجاج[٤].

الثالث: داعي الخير والصلاح والاستقامة.

نسبه الواحدي إلى أهل المعاني[٥].

النتيجة:

حكى تعالى عن المشركين أنهم كارهون للحق الذي جاء به الرَّسول ﷺ فقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ المؤمنون: ٧٠، والمراد بالحق هو توحيد الله تعالى ومنعهم من عبادة الأصنام مع الله تعالى، ولذلك قال :﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ المؤمنون: ٧١، وفساد السموات والأرض يكون سببه الإشراك بالله تعالى، كما قال تعالى :﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢١ – ٢٢

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٢/٤٧٣، وينظر: لسان العرب١٠/٥٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٨٨-٨٩، والنكت والعيون٤/٦٢، والتفسيرالبسيط١٦/٣٤، وزاد المسير٥/٤٨٤

(٣) معاني القرآن٢/٢٣٩

(٤) معاني القرآن٤/١٩

(٥) التفسيرالبسيط١٦/٣٥

فالأولى في المراد بالحق أن يكون متصلاً، وهو توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، بدلالة السياق والدليل القرآني.

سورة النور

(٢٨٧) قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ النور: ٣

قال أبو العبَّاس: كانت البغايا تؤاجر نفسها، فقال أصحاب الصفة: وكانوا ممن يتزوج بهن ويأكل مما يكسبن، فأنزل الله عز وجل ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾[1].

الدِّراسة:

اختلف في معنى النكاح في الآية إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: التزويج، أي: أن الزاني لا يتزوج إلا بزانية مثله أو مشركة وكذلك الزانية، وهو محرم على المؤمنين والمؤمنات.

روي عن عبد الله بن عمرو، وابن عبَّاس رضي الله عنهم، ومجاهد، وسعيد بن المُسيِّب، وعطاء بن أبي رباح[2]، وقال به الفرَّاء[3]، والزَّجاج[4]، والواحدي[5].

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

أولاً: أنه لا يعرف شيء في كتاب الله من ذكر النكاح إلا على معنى التزويج.

ثانياً: لا يكون في الكلام فائدة على معنى الوطء إلا على سبيل التغليظ في الأمر.

ثالثاً:موافقته لسبب النزول الذي ذكره ثعلب.

القول الثاني: الجماع والوطء.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن زيد، والضَّحاك[6]، .....

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٢٦

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٧/١٥٠-١٥٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٨/٢٥٢٢-٢٥٢٥، والتفسيرالبسيط١٦/١٠٢-١٠٥

(٣) معاني القرآن٢/٢٤٥

(٤) معاني القرآن٤/٢٩

(٥) التفسيرالبسيط١٦/١١٦

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/١٥٧-١٥٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٨/٢٥٢١-٢٥٢٦، والتفسيرالبسيط١٦/١١٤-١١٥

وقال به ابن جرير[1]، وابن عطية[2]، وابن كثير[3].

ودليل أصحاب هذا القول أن الزانية من المسلمات حرام زواجها من كل مشرك، وكذلك الزاني من المسلمين، فكيف يقال: الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك؟

إذا علم ذلك لزم حمل معنى النِّكاح في الآية على الوطء حتى يندفع هذا الإشكال، ويكون المعنى: الزاني لا يزني إلا بزانية مثله، أو بمشركة.

القول الثالث: التزويج لكن هذه الآية منسوخة بآية ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ النور : ٣٢، وقد دخلت الزانية في آيامى المسلمين.

روي عن سعيد بن المُسَيِّب[4].

لكن يُضْعِف هذا القول ذكر الإشراك فيها.

النتيجة:

المختار القول الثاني لما ذكر فيه من أدلة، ويمكن الجواب على أدلة القول الأول بالآتي:

- القول أن معنى النكاح في القرآن على التزويج، هذا يحمل على الغالب وما يوافق السياق، ولا يحمل ذلك على الوجوب لأن كلا المعنيين جائز في اللغة والسياق يؤيد معنى الوطء.
- القول بأن ليس في الكلام فائدة إلا على سبيل التغليظ، فيجاب على ذلك بأن يقال: كفى بما ذكرتم أن يكون فائدة.
- سبب النزول وهو ضعيف[5].

---

(١) جامع البيان١٧/١٦٠

(٢) المحرر الوجيز٤/١٦٢-١٦٣

(٣) تفسير القرآن العظيم٦/٩

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/١٥٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٨/٢٥٢٤، والناسخ والمنسوخ، للنحاس:١٩١

(٥) ينظر: المحرر في أسباب النزول٢/٧١٥-٧١٦، والاستيعاب في بيان الأسباب٢/٥٤٠-٥٤٦

(٢٨٨) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ النور: ١١

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال ثعلب: يعني معظم الإفك[1].

الدِّراسة:

فسَّر ثعلب -رحمه الله- معنى ﴿كِبْرَهُۥ﴾ في الآية وهو على القراءة الشاذة (كُبرَه) بضم الكاف، أي: أعظمه.

وأما قراءة الجمهور ﴿كِبْرَهُۥ﴾ بالكسر على معنى الوِزْر والإثم من الكبيرة[2].

والمختار المعنى في القراءة الصحيحة المتواترة وهي قراءة الجمهور، لأن معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم١٢/٧، وينظر: لسان العرب١٢٨/٥

(٢) قرأ بالشاذة: مجاهد والحسن ويعقوب، والمتواترة : السبعة، ينظر: مختصر شواذ القرآن :١٠١، وإتحاف فضلاء البشر٢٩٣/٢، والمحتسب ١٠٦/٢، وإعراب القراءات الشواذ ١٧٥/٢، والنشر ٣٣١/٢، ومعاني القرآن، للفراء٢٤٧/٢، والتفسير البسيط١٥٤/١٦-١٥٧،والمحرر الوجيز١٧٠/٤، والبحر المحيط٤٣٧/٦

(٢٨٩) قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ النور: ١٣

وقوله عز وجل: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ ﴾

قال: هذا سترٌ ستره الله على المسلم، أنه لا يقبل في الزاني إلا أربعة.

وبعضهم يقول: لأن الحق يقام على اثنين: الرجل والمرأة(١).

الدِّراسة:

ذكر ثعلب -رحمه الله- في هذه الآية بعض الأسباب أو الأسرار في اشتراط الشهود الأربعة في جريمة الزنا، وأشار إلى ذلك بعض المفسِّرين(٢).

وهذا يدل على حرص الدين الإسلامي على صيانة الأعراض وحمايتها، حيث اشترط لثبو ت جريمة الزنا شهادة أربعة رجال بشهادة صريحة قال تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى:** ﴾ ﴾ النساء: ١٥، فإن كانوا أقل من ذلك أقيم عليهم حد القذف، وفي ذلك سد منيع دون إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، ولو لم يكن ذلك كذلك، لأطلق أناس ألسنتهم بأعراض بريئة دافعهم إلى ذلك الحسد والظن السيء والعجلة.

(١) مجالس ثعلب١/١٠٢

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي٣/١٣٣٤، والجامع لأحكام القرآن١٥/١٢٩

(٢٩٠) قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ النور: ١٣

وسئل أحمد ي يحيى عن هذه الآية، وقيل إذا رأى الرجل مع امرأته رجلاً وتيقن الفاحشة ثم أخبر الإمام بذلك وعجز عن إقامة البينة فحُدَّ، أيكون عند ا لله كاذباً؟ فقال: تأويل ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: في حكم الله، وقد فرض علينا أن نجريه مجرى الكاذبين وإن كان في معلوم الله أنه صادق، فإن صدقه مغيب عنّا، والغيب لا يعلمه إلا ألله[1].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- في دفع ما يتوهم إشكاله من الآية في وصف كل من لم يأت بأربعة شهداء بالكذب وإن كان صادقاً.

ويظهر لي جواب آخر عن هذا المشكل الذي سئل عنه ثعلب وهو أن يقال : إن هذه الآية خاصة في الإخبار عن أصحاب الإفك وليست عامة في جميع من لم يأت بأربعة شهداء، وهؤلاء معلوم كذبهم فلذلك وصفهم الله بالكذب، والله أعلم.

(١) التفسير البسيط١٦/١٦٣

(٢٩١) قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ النور: ٣١

وقوله عز وجل: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ﴾، فسَّره ثعلب فقال: هم أتباع الزوج ممن يخدمه، مثل: الشيخ الفاني، والعجوز الكبيرة[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـ﴿ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ ﴾:

الأول: الكبير الذي ليس له حاجة في النساء.

روي عن مقاتل[٢].

الثاني:الأحمق والأبله الذي ليس له حاجة في النساء.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، والشعبي، وسعيد بن جبير[٣].

الثالث: الذي لا يهمه إلا بطنه، ولا هم له في النساء.

روي عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد[٤].

الرابع: المخنَّث.

روي عن عكرمة[٥].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٢/٥٧، وينظر: لسان العرب٨/٢٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٢٦٧-٢٦٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٥٧٨

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٥٧٨

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٢٦٧-٢٦٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٥٧٨

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٢٧٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٥٧٩

النتيجة:

الصحيح في المراد في الآية جميع ما ذكر ممن ليس له حاجة في النساء، لأن المقصود من الأمر بالحجاب خشية الفتنة، والفتنة آمنة في الرجل الذي ليس له حاجة في النساء، وأقوال المفسِّرين لا تعارض بينها لأنها تفسير بالمثال للمراد، والله تعالى أعلم.

(٢٩٢) قوله تعالى :﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ النور: ٣٣

وفي التنزيل:﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾، فسَّره ثعلب فقال: ليضبط نفسه بمثل الصوم فإنه وجاء[١][٢].

الدِّراسة:

ذكر الإمام ثعلب –رحمه الله– الوسيلة التي يتعفف بها المؤمن عند العجز على النكاح، وهذا القول استنباطاً من حديث:(**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[٣] فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**)[٤]

ومعنى العِفة: هو الكف عما لا يحل ويجمل[٥].

والمراد به في الآية الابتعاد عن ما حرم الله تعالى على عباده من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويكون ذلك بغض البصر، والابتعاد عن أماكن الشبه، وحفظ الفرج عن ما حرم الله تعالى، وكذلك بالصوم فهو سبيل لمنع الإنسان من الوقوع في المعاصي، وأن يستشعر العبد دائماً مراقبة الله تعالى واطلاعه عليه، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله.

---

(١) الوجاء: هو القاطع والمانع لشيءٍ عن شيء . فالصوم يساعد على منع وقطع شهوة العبد، ينظر : تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(و ج أ)

(٢) المحكم والمحيط الأعظم١/١٠٢، وينظر: لسان العرب٩/٢٥٣

(٣) الباءة: النكاح والتزوج، وهو من المباءة: منزل القوم الذي يتبوءون الإقامة فيه، والرجل يتبوأ من أهله كما يتبوأ من منزله. ينظر: النهاية في غريب الحديث، وتهديب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ب و أ)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النَّبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج (٤٧٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح،(١٤٠٠)، من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ع ف ف)

(٢٩٣) قوله تعالى :﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٣٥ ﴾ النور: ٣٥

قوله تعالى :﴿ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ ﴾ قال الإمامان(١) جميعاً: معناه: لا شرقية كلها، ولا غربية كلها، هي شرقية وغربية، وهو أحسن ما يكون من الشَّجر تطلع عليها الشَّمس، وتغرب عليها الشَّمس(٢).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: لا شرقية كلها ولا غربية كلها، ولكنها شرقية وغربية، فالشَّمس تطلع عليها طول النَّهار.

وهو قول جمهور المفسِّرين(٣).

الثاني: أخذوا بظاهر النص، وأنها شجرة وسط الشَّجر لا يصيبها ضوء الشَّمس طول النَّهار.

روي عن أبي بن كعب، وابن عبَّاس رضي الله عنهم، وسعيد بن جبير، والضَّحاك(٤).

ويضعف هذا القول أن الشَّجرة التي بهذه الحال يفسد ثمرها(٥).

الثالث: أنها ليست من شجر الدنيا، وإنما هو مثل ضربه الله عز وجل للناس ولو كانت من شجر الدنيا لأصابتها الشَّمس شرقاً أو غرباً أو كلاهما.

روي عن الحسن، وأبي العالية(٦).

---

(١) هما ثعلب والمُبرِّد، كما سبق الإشارة إلى ذلك، ينظر:ص(،،) من هذه الرسالة.

(٢) ياقوتة الصراط:٣٧٨، وينظر: التفسير البسيط١٦/٢٨٠

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٧/٣١١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٨/٢٦٠٠-٢٦٠١، والتفسير البسيط١٦/٢٧٨-٢٨٠

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٣١٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٥٩٩-٢٦٠٠

(٥) ينظر: المحرر الوجيز٤/١٨٥

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٣١٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٦٠٢

ويضعف هذا القول أن القرآن أفصح بأنها من شجر الدنيا، لأنها بدل من الشَّجرة، فقال : ﴿ زَيْتُونَةٍ ﴾[1] .

الرابع: أنها من شجر الشام، لأن الشام لا شرقي ولا غربي.

روي عن ابن زيد[2].

النتيجة:

الأول أولى، لأن الشَّجرة كلما كان تعرضها للشمس أكثر في ساعات النَّهار كانت ثمرتها أحسن وأفضل، وكذلك هذه الشَّجرة المباركة في صفة زيتها الذي ذكره تعالى ، وهو ما اختاره أكثر المفسِّرين.

(١) ينظر: الكشف والبيان٧/١٠٧

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٣١٢

(٢٩٤) قوله تعالى :﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ النور: ٤٠

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل:﴿ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ ﴾

قال: رآها بعد بطء، وقولك: كدت أقوم. أي: لم تقم، ولم أكد أن أقوم أي: قمت.

وقال هنا: القول والاختيار أن يقال: لم يرها ولم يكد[١].

الدِّراسة:

في المسألة قولان، وكلاهما ورد عن ثعلب -رحمه الله- والأظهر أن الأول من كلامه نقلاً عن الفرَّاء [٢]، والثاني اختياره.

الأقوال في المسألة:

الأول: أنه لا يرى يده.

وهو قول أكثر المفسِّرين[٣].

وذكر لهذا القول ثلاثة أوجه:

أولاً: أن تقدير الكلام: لم يرها و لم يكد.

قاله الزَّجاج[٤].

وقد ضعف هذا القول السَّمين الحلبي[٥].

ثانياً: أن تكون (كاد) زائدة.

قاله أبو بكر الأنباري[٦].

والصحيح لا زائد في القرآن.

---

(١) مجالس ثعلب١/١٤٢

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/٢٥٥

(٣) ينظر: التفسير البسيط١٦/٣١٣، وإملاء ما من به الرحمن٢/١٥٧، و الدر المصون٨/٤١٦

(٤) معاني القرآن٤/٤٨

(٥) الدر المصون٨/٤١٨

(٦) ينظر: الأضداد:٩٨، والتفسير البسيط١٦/٣١٤، والبحر المحيط٦/٤٦٢، و الدر المصون٨/٤١٧

ثالثاً: أن (كاد) خرجت على معنى (قارب) والتقدير: لم يقارب رؤيتها فضلاً عن أن يراها. قاله المُبرِّد[١]، وابن جرير[٢]، والنَّحاس[٣]، والزَّمَخشَري[٤]، وأبو حيَّان[٥]، والسَّمين الحلبي[٦].

الحلبي[٦].

الثاني: أنه رآها بعد جهد. لأن النفي إذا تقدم (كاد) أفاد إيجاب الفعل بعدها[٧].

نسبه أبو حيَّان والسَّمين الحلبي للفراء، والمُبرِّد[٨]، والصحيح خلافه[٩].

النتيجة:

قال ابن عطية: إذا كان حرف النفي مع (كاد) فالأمر متجل مرة يوجب الفعل ومرة ينفيه[١٠].

وما دام أن (كاد) في هذه الحالة تجعل الفعل بعدها يحتمل النفي والإيجاب، فالأولى أن يحمل كلام الله تعالى على أبلغه وهو نفي مقاربة الرؤية فضلاً عن الرؤية، والله تعالى أعلم.

---

(١) الكامل١/١٦٧، والمقتضب٣/٧٥

(٢) جامع البيان١٧/٣٣٢

(٣) معاني القرآن٤/٥٤٢

(٤) الكشاف٣/٢٣٧

(٥) البحر المحيط٦/٤٦٢

(٦) الدر المصون٨/٤١٨

(٧) ينظر هذه الأقوال في التفسير البسيط ١٦/٣١٢-٣١٤، وإملاء ما من به الرحمن ١٥٧/٢، و الدر المصون٨/٤١٦-٤١٨

(٨) ينظر: البحر المحيط٦/٤٦٢، و الدر المصون٨/٤١٨

(٩) ينظر: معاني القرآن٢/٢٥٥، والتفسير البسيط١٦/٣١٢-٣١٣

(١٠) المحرر الوجيز٤/١٨٨

(٢٩٥) قوله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ النور: ٤٣

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل:﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ ﴾

معناه: يقارب. يقال: سنا البرق يسنو إذا أضاء، وهو مقصور، والسنَّا من المجد ممدود(١).

الدِّراسة:

السنَّا: الضوء، مثل: سنا النَّار، وسنا البدر، وسنا البرق(٢).

قال المُبرِّد: السنَّى مقصور وهو اللمَّع، فإذا كان من الشرف والحسب فهو ممدود، والأصل واحد، لأن معناهما الإشراق، تقول: ما رأيت سنى ناره، أي: التماعها(٣).

والمراد هو ضوء البرق(٤).

والمعنى: يكاد ويقرب ضوء البرق ولمعانه أن يُذهب بصر العين من شدته.

---

(١) مجالس ثعلب١/١٤١

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، والصحاح، ولسان العرب، مادة(س ن ا)

(٣) نقله الواحدي في التفسير البسيط١٦/٣٢٦، وينظر نحوه في الكامل٣/٨٦٤، ٤/١٢٠٩

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(س ن ا)

(٢٩٦) قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ النور: ٥٤

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾، فسَّره ثعلب فقال: على النَّبي ﷺ ما أوحي إليه وكلف أن ينبه عليه، وعليكم أنتم الإتباع[1].

الدِّراسة:

وعلى هذا المعنى فسَّر المفسِّرون هذه الآية[2]، فالنَّبي ﷺ قد حمله تعالى أمانة التبليغ والرسالة، والنَّاس حملهم الإتباع وطاعة الرَّسول ﷺ.

ونشهد أن محمد ﷺ بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ،ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده.

قال ابن جرير: فإنما عليه فعل ما أمر بفعله من تبليغ رسالة الله إليكم ، على ما كلفه من التبليغ، ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ﴾ يقول: وعليكم أيها النَّاس أن تفعلوا ما ألزمكم وأوج ب عليكم من اتباع رسوله الله ﷺ، والانتهاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم[3].

(١) المحكم والمحيط الأعظم٣/٣٦٧، وينظر: لسان العرب١١/١٧٦

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٧/٣٤٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٨/٢٦٢٥-٢٦٢٦، والتفسير البسيط١٦/٣٤٢، والمحرر الوجيز٤/١٩٢

(٣) جامع البيان١٧/٣٤٥

(٢٩٧) قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ النور: ٦٢

وقال في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾، قال: إذا اجتمعوا على أمر من أمر الدِّين لم يتفرقوا إلا عن إذنه[1].

الدِّراسة:

هذه الآية تحدث المولى جل وعلا فيها عن أدب من آداب المؤمنين، وهو أنهم إذا كانوا في مجمع مع النَّبي ﷺ لم ينصرفوا حتى يعطيهم الإذن بذلك، وهذا من كمال أدبهم مع رسولهم عليه الصلاة والسلام[2].

وإذا كان هذا الأمر واجب مع النَّبي ﷺ في حياته فكذلك بعد موته يجب الامتثال لأمره وعدم الخروج عن سنته عليه الصلاة والسلام.

وفي هذه الآية إشارة إلى وجوب اجتماع المؤمنين على كلمة واحدة وعدم اختلا فهم، وأن فشلهم وهوانهم في تنازعهم واختلافهم، وفيها التعرض بمن يخرج عن أمر رسول الله ﷺ أو عن أمر ولي أمر المسلمين، كما فيها الثناء لمن امتثل أمر الرَّ سول ﷺ و لم يخرج عن جماعة المسلمين.

(١) مجالس ثعلب١/٥٧

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٣٨٥، ومعاني القرآن، للزجاج٤/٥٥، والمحرر الوجيز٤/١٩٧

سورة الفرقان

(٢٩٨) قوله تعالى :﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ الفرقان: ١٦

وقال ثعلب: معناه: وَعْداً مَسْئولاً إنْجازُه، يقولون: رَبَّنَا قد وَعَدْتَنا فأنْجِزْ لنا وَعْدَك[١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى(مسئولاً):

الأول: يسأله المؤمنون أو الملائكة هذا الوعد وهو قولهم : ﴿ ٱلتَّغَابُنِ ۝ ٱلْمُلْكُ ٱلْقَيُّومُ ٱلْغَافِرِ ٱلْقَابِلِ ٱلْمُعَادِ ۝ نُوحٍ ﴾ آل عمران : ١٩٤ ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ﴾ غافر: ٨

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وابن زيد، ومحمد بن كعب[٢]، وقاله الفرَّاء[٣]، وابن جرير[٤]، والزَّجاج[٥]، وأبو حيَّان[٦].

الثاني: أنه من المسئولية لا السؤال، على معنى الوجوب والإنجا ز، وهو كقولك: لأعطين ك عشرون ألفاً وعداً مسئولاً، أي: هو واجب لك.

وهذا ما قاله ثعلب-رحمه الله- وعداً واجباً إنجازه لأن الله وعد به المؤمنين وهو تعالى لا يخلف الميعاد.

حكي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٧]، وجوزه الفرَّاء[٨]، وقال به الزَّمَخشَري[٩]، وجوز ابن ابن عطية القولين[١٠].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٨/٥٤٦، وينظر: لسان العرب١١/٣١٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٤١٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٦٧١

(٣) معاني القرآن٢/٢٦٣

(٤) جامع البيان١٧/٤١٣

(٥) معاني القرآن٤/٦٠

(٦) البحر المحيط٦/٤٨٦

(٧) ذكره الواحدي في التفسير البسيط١٦/٤٣١، ولم أجد من أسند هذا القول إليه.

(٨) معاني القرآن٢/٢٦٣

(٩) معاني القرآن٢/٢٦٣

(١٠) الكشاف٣/٢٦١

النتيجة:

المختار الأول ويؤيده ما جاء من الآيات التي تؤيد حقيقة هذا المعنى، وهو قول الجمهور من المفسِّرين، والله تعالى أعلم.

(٢٩٩) قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠ ﴾ الفرقان: ٢٠.

﴿ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً ﴾

قال: يتقدم الوضيع الشريف فيأنف الشريف أن يسُلِم لأنه تقدمه في الإسلام[١].

الدِّراسة:

الأقوال:

الأول: أن يتقدم الفقير على الغني في الإسلام فيكون ذلك فتنة للغنى من حيث سبقه الفقير إليه، فيكره أن يكون تابعاً ومقلداً للفقير.

قاله الفرَّاء[٢].

الثاني: الغني بماله وما أعطاها الله تعالى من الدنيا يكون فتنة للفقير، والصحيح المعافى يكون فتنة للمريض.

روي عن الحسن، وابن جريج[٣].

الثالث: أن يُفتن المسلم الضعيف في دينه بالمشرك والكافر.

روي عن مقاتل بن سليمان[٤].

الرابع: فتنة المشركين في صد النَّبي ﷺ عن تبليغ الرسالة، وفتنة تكريمه وتشريفه بالرسالة دون المشركين.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومحمد بن إسحاق[٥].

الخامس: أنها شاملة لجميع فتنة الخلق بعضهم لبعض بدون تخصيص.

---

(١) مجالس ثعلب١/٨٤

(٢) معاني القرآن٢/٢٦٥

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٤٢٤-٤٢٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٦٧٥

(٤) تفسير مقاتل٢/٤٣٣

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٤٢٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٦٧٦

قاله ابن جرير[1]، وابن عطية[2]، وابن كثير[3].

النتيجة:

الراجح القول الخامس لأنه لا دليل على التخصيص، وما ذكر من أقوال هي تفسير بالمثال، واللفظ والسياق يحتمل الجميع، وإذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها جميعاً، والله أعلم.

(١) جامع البيان١٧/٤٢٤

(٢) المحرر الوجيز٤/٢٠٥

(٣) تفسير القرآن العظيم ٦/١٠٠

(٣٠٠) قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ الفرقان: ٢٠

وقوله تعالى: ﴿أَتَصۡبِرُونَۗ﴾

قال: أتصبرون على هذا التأديب أم لا؟[1]

الدِّراسة:

في الاستفهام ثلاثة أقوال:

الأول: أنه استفهام تقريري وفي الكلام إضمار تقديره: أتصبرون أم لا تصبرون؟[2]

الثاني: أن الاستفهام على معنى الأمر، اصبروا[3].

الثالث: أن الاستفهام ليس على بابه، وإنما يراد به بيان الغاية التي من أجلها جاءت الفتنة، فيكون المعنى: فتنا بعضكم ببعض لأجل أن تصبروا، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾ محمد: ٣١، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ النحل: ١١٠

قاله أبو السعود[4].

النتيجة:

ما ذكر من أقوال صحيحة ومحتملة، لكن المختار الثالث لدلالة الآيات عليه وبلاغته، فهو الأولى من غيره، والله أعلم.

---

(١) مجالس ثعلب ٨٤/١

(٢) ينظر: التفسير البسيط ٤٤٨/١٦، والجامع لحكام القرآن ٣٩١/١٥، والدر المصون ٤٧٠/٨

(٣) ينظر: التفسير البسيط ٤٤٨/١٦

(٤) إرشاد العقل السليم ٢١٠/٦

(٣٠١) قوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٤

﴿ فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ ، قال: النَّسب: القرابات. والصِّهر: الذي يصاهر من الغرباء[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: النَّسب: القريب من الرحم، والصِّهر: الذي يحل نكاحه من الغرباء.

الثاني: النَّسب: القريب من الرحم، والصِّهر: الذي يحل نكاحه من الرحم أو الغرباء.

قاله ابن قتيبة[٢]، والنَّحاس[٣]، والواحدي[٤]، وابن عطية[٥].

الثالث: النَّسب: من لا يحل نكاحه من القرابة، والصِّهر: الذي يحل نكاحه من القرابة وغير القرابة.

روي عن علي رضي الله عنه[٦].

الرابع: النَّسب: من لا يحل نكاحه من القرابة، والصِّهر: الذي يحل نكاحه من القرابة.

قاله الفرَّاء[٧]، والزَّجاج[٨].

الخامس: النَّسب المحرم من الأرحام الذين ذكرهم تعالى في قوله :﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ ﴾ النساء: ٢٣، والصِّهر المحرم من غير الأرحام من قوله :﴿ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ

(١) مجالس ثعلب١/١٤٣

(٢) غريب القرآن:٣١٤

(٣) معاني القرآن٥/٤٠

(٤) التفسير البسيط١٦/٥٤٧

(٥) المحرر الوجيز٤/٢١٤

(٦) ذكره عنه الثعلبي بلا إسناد في الكشف والبيان٧/١٤٢، والواحدي في التفسير البسيط١٦/٥٤٨

(٧) معاني القرآن٢/٢٧٠

(٨) معاني القرآن٤/٧٢

الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر ﴾النساء: ٢٣

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والكلبي[١]، والضَّحاك، وقتادة، ومقاتل، وطاوس بن كيسان[٢]، وقاله به ابن جرير[٣].

والذي يظهر أن هذا القول ليس تفسيراً للنَّسب والصِّهر في هذه الآية، ولكنه بيان للأصناف المذكورة في آية﴿ ﴾النساء:٢٣ منهم ذووا قرابة ومنهم من ليسوا ذو قرابة.

السادس: النَّسب: البنون، والصِّهر: البنات، خلق الإنسان من قسمين: نسباً وهم البنون ذكوراً ينسب إليهم، وصِهراً وهم البنات يُصاهَر بهن، وهي كقوله تعالى :﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ القيامة : ٣٧ – ٣٩[٤]

روي عن ابن سيرين[٥]، وقال به الزَّمَخشَري[٦].

النتيجة:

المشهور من كلام العرب أن النَّسب هم القرابة، والصهِّر المخالط بالنِّكاح، وهو أولى ما يُحمل عليه كلام الله تعالى، والله تعالى أعلم.

(٣٠٢) قوله تعالى:﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان: ٥٩

---

(١) ذكره الواحدي عنهما بلا إسناد في التفسير البسيط١٦/٥٤٨، والنَّحاس عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في معاني القرآن٥/٣٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٤٢٤-٤٢٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧١٠

(٣) جامع البيان١٧/٤٧٦

(٤) ينظر: معاني القرآن، للنحاس٥/٣٨، والمحرر الوجيز٤/٢١٥

(٥) الكشف والبيان٧/١٤٢

(٦) الكشاف٣/٢٧٩

قال ثعلب يقول : (استوى) أقبل عليه وإن لم يكن معوجاً ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ البقرة: ٢٩: أقبل[١]، و﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾الفرقان : ٥٩: علا[٢]، واستوى وجهه : اتصل، واستوى القمر: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها في فعلهما وإن لم تتشابه شخوصهما، هذا الذي نعرف من كلام العرب[٣].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى الاستواء:

الأول: علا على العرش بذاته.

قاله أبو عبيدة[٤]، وابن جرير[٥].

الثاني: علا على العرش بقوته وقدرته.

قاله الأخفش[٦]، والواحدي[٧]، والقرطبي[٨].

لكن يُضْعِف هذا القول أن علو الله تعالى بقدرته عام على كل شيء وليس خاص بالعرش، وأما الاستواء الذي في الآية فهو استواء خاص بالعرش حادث بعد خلق السموات والأرض.

الثالث: استولى على العرش.

قاله اليزيدي[٩]، والزَّمَخشَري[١٠].

---

(١) سبق الكلام عليه في سورة البقرة آية:٢٩

(٢) وقد ذكر الأزهري في تهذيب اللغة١٣/ ٨٥عن ثعلب أنه فسَّرها بأقبل، لكن لعله يريد آية سورة البقرة كما دل عليه نقل اللالكائي.

(٣) أصول اعتقاد أهل السنة للالالكائي٣/٤٠٠، وينظر: العلو للعلي الغفار١/٢١٣، واجتماع الجيوش الاسلامية١/١٦٨، ومجالس ثعلب ١/١٧٤،٢٦٩، والوسيط للواحدي١/١١١

(٤) مجاز القرآن٢/١٥

(٥) جامع البيان١٦/١،١١/٤٥٧

(٦) معاني القرآن٢/٤٠٦

(٧) التفسير البيسط١٤/٣٥٥

(٨) الجامع لأحكام القرآن٩/٢٤٠

(٩) غريب القرآن:٢٤٣

(١٠) الكشاف٣/٥٠

الاستواء على معنى الاستيلاء ضعيف في اللغة ، ويدل على ذلك أن ثعلباً لما ذكر معاني الاستواء في اللغة لم يذكره [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على من فسَّر استوى بـــ(استولى): ومن تلك الوجوه أنه لم يرد عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم، بل تفسير حَدَث من المبتدعة بعدهم، ثم هو ضعيف لغة [2].

ثم لا يخفى لازم معنى الاستيلاء وجود مالك سابق قبل المستولي ، والله تعالى نزيه عن الأضداد والأنداد.

النتيجة:

الصحيح أن الآية في إثبات استواء خاص حادث بعد خلق السموات والأرض، وهو المراد بالعلو الذاتي للرب تبارك وتعالى فوق عرشه، وقد أوضحت في مبحث الدِّراسة ضَعْف الأقوال الأخرى.

(١) ينظر تفصيل هذه المسألة في سورة البقرة آية:٢٩ من هذه الرسالة.

(٢) مجموع الفتاوي٥/١٤٤

(٣٠٣) قوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ الفرقان: ٦٢

بها العِينُ والآرْا مُ[١] يَمشِينَ خِلْفَةً وأطلاؤها ينهضَ من كلِّ مجثمِ[٢] [٣]

وقوله:(خِلْفَةً) إذا مضى فوج جاء آخر، وأصله إذا ذهب شيء خلف مكانه شيء آخر. وإنما أراد أن الدار أفقرت حتى صار فيها ضروب من الوح وش. ومنه قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً ﴾[٤].

الدِّراسة:

الأقوال:

الأول: الليل يخلف النَّهار في المجيء فيذهب النَّهار ويجيء الليل وكذلك العكس.

وهذا القول على أن (خِلْفَة) مأخوذ من الخَلَف بمعنى أن يجيء شيء بعد شيء[٥].

وهذا قول جمهور المفسِّرين[٦].

الثاني: الليل يختلف عن النَّهار، فهذا مظلم وهذا مضيء ونحو ذلك.

وهذا القول على أن (خِلْفَة) مأخوذ من الخَلَف بمعنى التغيُّر[٧].

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة[٨].

النتيجة:

القولان محتملان في الآية صحيحان في اللغة، فتحمل الآية عليهما، والله أعلم.

---

(١) الآرام: جمع أرم وهو سنام الإبل، ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(أ ر م).

(٢) مجثم: من جَثم يَجْثَم جُثُومَاً إذا لزم مكانه فلم يبرح ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ج ث م).

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى:١

(٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى:٦

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(خ ل ف)

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٤٨٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧١٨، ومعاني القرآن، للنحاس ٥/٤٤، والتفسير البسيط١٦/٥٦٥-٥٦٧، والمحرر الوجيز٤/٢١٧، وعمدة الحفاظ، مادة(خ ل ف)

(٧) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(خ ل ف)

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٤٨٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧١٨

(٣٠٤) قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الفرقان: ٦٣

وقال ثعلب: هوناً رفقاً[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: رفقاً.

وهذا قول ثعلب، والهون في اللغة الترفق[٢].

الثاني: سكينة ووقاراً.

روي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة[٣]، وقاله الفرَّاء[٤].

الثالث: يمشون مطيعين ومتواضعين من غير تكبر ولا إفساد.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وزيد بن أسلم، وعبد الرحمن بن زيد[٥].

الرابع: يمشون بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم.

روي عن الحسن، وعكرمة[٦].

وهذا القول والقول الثاني والثالث كلها من التفسير باللازم لمعنى الرفق.

الخامس: جميع ما تقدم.

قاله ابن جرير[٧]، والزَّجاج[٨].

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني٤/٢٩

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(ه و ن)

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٤٩٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧٢١

(٤) معاني القرآن٢/٢٧٢

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٤٩١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧٢٠-٢٧٢١

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٤٩٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧٢٠

(٧) جامع البيان١٧/٤٨٩

(٨) معاني القرآن٤/٧٤

النتيجة:

الراجح القول الخامس و جميع المعاني محتملة في الآية ولا تعارض بينها، وعباد الرحمن يمشون في الأرض برفق ومن لازم هذا الرفق أن يكون بسكينة ووقار وتواضع وحلم، وهم مطيعين غير مفسدين، وهذا وصف من الله تعالى لكيفية عيشهم في الحياة وليس مق تصراً على المشي بالأرجل فقط.

(٣٠٥) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾

الفرقان: ٧٢

﴿ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾

قال: مجالس اللهو(١).

الدِّراسة:

الأقوال:

الأول: الشرك بالله.

روي عن الضَّحاك، وابن زيد(٢).

الثاني: أعياد المشركين.

روي عن الضَّحاك، وأبي العالية، والسُّدِّي، وطاوس، والرَّبيع بن أنس(٣).

الثالث: مجالس الغناء والزنا، واللعب.

روي عن مجاهد، وعكرمة، والحسن، ومحمد بن الحنفية(٤).

الرابع: مجالس الكذب.

روي عن قتادة، وابن جريج(٥)، وقاله الفرَّاء(٦).

الخامس: مجالس اللهو، وتشمل جميع ما ذكر.

قاله ابن جرير(٧).

السادس: شهادة الزور.

ذكره الثعلبي عن علي بن أبي طلحة(٨)، وهذا من الشهادة لا من الشهود بمعنى الحضور.

---

(١) مجالس ثعلب١/٨٦، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٩/١٠٢، ولسان العرب٤/٣٣٧

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٥٢٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧٣٧-٢٧٣٨

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧٣٧

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٥٢٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧٣٧-٢٧٣٨

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٥٢٢ ، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧٣٨

(٦) معاني القرآن٢/٢٧٤

(٧) جامع البيان١٧/٥٢٣

(٨) الكشف والبيان٧/١٥١

النتيجة:

الراجح القول الخامس وأن المراد جميع ما ذكر لأن الزُّور يشمل كل ذلك، وأصله في اللغة الكذب وتحسين الشيء، ووصفه بخلاف حقيقته[1] كالشرك، والغناء، والباطل، وغيره كله خداع وتزوير ووصف للشيء على غير حقيقته، ثم ليس هناك دليل يخصص معناً في الآية دون الآخر، فحين إذ لا يكون أحد من الأقوال أولى من الآخر.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة (ز و ر)

(٣٠٦) قوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾ الفرقان: ٤٨

وقوله: ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾، قال ثعلب: الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: أن (طهور) في الآية بناء مبالغة من طاهر، وهذه المبالغة اقتضت أن يكون الماء الذي نزل من السَّماء طاهر في نفسه مطهر لغيره.

وهو قول الجمهور[٢].

ويؤيد هذا القول قوله تعالى:﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾ الأنفال: ١١

الثاني: أنه بمعنى طاهر.

وهو قول أبي حنيفة [٣]، واستدل بقوله تعالى :﴿ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ الإنسان : ٢١، ومن المعلوم أن الماء هو السائل الوحيد المطهر في الوضوء.

وأجيب على هذا القول: أن شراب أهل الجنَّة يكون مطهر لهم من الذنوب وغيرها.

النتيجة:

الراجح القول الأول، وهو مذهب جمهور العلماء في معنى (طهوراً).

قال ابن العربي: وقد أجمعت الأمة لغة وشريعة على أن وصف(طهور) مخ تص بالماء، ولا يتعدى إلى سائر المائعات وهي طاهرة، فكان اقتصارهم بذلك على الماء أدل دليل على أن الطهور هو المطهر[٤].

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني٤/٢٤، وينظر: البحر المحيط٦/٥٠٥، وروح المعاني٩/٣٠

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن١/٤٢٢، والبحر المحيط٦/٥٠٥، وروح المعاني٩/٣٠

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن١/٤٢٢

(٤) أحكام القرآن، لابن العربي٣/١٤١٦، و ينظر: الجامع لأحكام القرآن١/٤٢٤

سورة الشعراء

(٣٠٧) قوله تعالى :﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾ الشعراء: ٤

﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾

قال: تكون الأعناق الرؤساء، أي: فظلَّت رؤساؤهم للآية خاضعين[١].

الدِّراسة:

الأعناق مؤنث و(خاضعين) مذكر، وقد اختلف العلماء في توجيه ذلك إلى عدِّة أقوال:

الأول: أن المراد بـــ(الأعناق) الرؤساء. والمعنى: فظلَّت رؤساء القوم خاضعين للآية[٢].

الثاني: أن يكون التقدير: فظلَّت أعناق الرجال لها خاضعين، فتكون (خاضعين) مذكراً لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق، فذكَّره لإضافة الأعناق إلى ضمير الجمع المذكر، والأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، فكان الفعل (ظلَّت) للأعناق، و(خاضعين) للرجال.

قاله الفرَّاء[٣]، والمُبرِّد[٤]، وابن جرير[٥]، والزَّجاج[٦]،والنَّحاس[٧].

الثالث: الجماعات. والمعنى: فظلَّت جماعاتهم خاضعين للآية[٨].

الرابع : نفس العضو. والمعنى: فظلَّت أعناق القوم خاضعة للآية.

روي عن مجاهد، قتادة[٩].

وقالوا في سبب التذكير: ذُكِّر كما يذكَّر بعض المؤنث، وهو جائز في العربية[١٠].

الخامس: أنه على حذف مضاف، أي: فظلَّ أصحاب الأعناق لها خاضعين[١١].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٤٣١

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٥٤٥، ومعاني القرآن، للزجاج٤/٨٣

(٣) معاني القرآن٢/٢٧٧

(٤) المقتضب٤/١٩٩

(٥) جامع البيان١٧/٥٤٨

(٦) معاني القرآن٤/٨٢

(٧) معاني القرآن٥/٦٣

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٥٤٥، ومعاني القرآن، للفراء٢/٢٧٧، ومعاني القرآن، للزجاج٤/٨٣

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٥٤٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧٥٠

(١٠) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٥٤٥-٥٤٦، والدر المصون٨/٥١٠

(١١) ينظر: الدر المصون٨/٥١٠

النتيجة:

الراجح القول الثاني، فـــ(الأعناق) مبتدأ، والخبر (خاضعين)، وذكر الخبر مع أن المبتدأ مؤنث لاتصاله بضمير الجمع المذكر، واختير هذا القول لأن القاعدة تقول: يقلل من المقدر ما أمكن لتقل مخالفته الأصل.

(٣٠٨) قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الشعراء: ٢٢

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

قال: اتخذت النَّاس عبيداً، واتخذتني ولداً، كأنه اعترف بالنِّعمة[١].

الأقوال في المسألة:

القول الأول: إقرار موسى بالنِّعمة. والمعنى: وتلك نعمة تمنها عليَّ أن عبدت بني إسرائيل وتركتني.

روي عن مجاهد والسدِّي[٢]، وقاله الفرَّاء[٣]، وابن جرير[٤]، والنَّحاس[٥]، وأبو حيَّان[٦].

الثاني: إنكار موسى للنِّعمة.

وفيها وجهان:

الأول: على الخبر إنكار للنعمة، والمعنى: عَدُّ تعبيدك لبني إسرائيل وتربيتك لي نعمة، إنك لو لم تقتل بني إسرائيل و لم تربني عندك، لبقيت عند أهلي وربُّوني و لم يلقوا بي في اليم.

روي عن محمد بن يسار[٧][٨]، وقاله المُبرِّد[٩]، والزَّجاج[١٠]، والأزهري[١١].

الثاني: على الاستفهام، والمعنى: أو تلك نعمة تمنها علي؟ ثم فسَّرها: أن اتخذت بني إسرائيل عبيداً.

---

(١) مجالس ثعلب١/١٤٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٥٦١

(٣) معاني القرآن٢/٢٧٩

(٤) جامع البيان١٧/٥٥٩

(٥) معاني القرآن٥/٧٣

(٦) البحر المحيط٧/١١

(٧) محمد بن يَسَار الخَرَساني، أبو عبد الله المروزي البصري ، قال أبو حاتم : ما بحديثه بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، وينظر: الجرح والتعديل٨/١٣٠، والثقات٧/٤٢٩، وتهذيب التهذيب/٣١٦.

(٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٧٥٦

(٩) ينظر: التفسير البسيط١٧/٤١

(١٠) معاني القرآن٤/٨٦

(١١) تهذيب اللغة٢/١٣٧

قاله الأخفش[1].

وضعَّف هذا القول ثعلب قائلاً: وهذا غلط، لا يجوز أن يُلقى الاستفهام وهو يُطلَب فيكون الاستفهام كالخبر[2].

النتيجة:

الراجح -والله أعلم- القول الأول، لأن كلام موسى عليه السلام بعد كلام فرعون من أوله إقرار، فالأولى حمل موضوع كلامه من أوله إلى آخره على الإقرار ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ الشعراء: ٢٠ - ٢٢.

(١) معاني القرآن٢/٤٢٦

(٢) تهذيب اللغة٢/١٣٧

(٣٠٩) قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الشعراء: ٧٧

﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

أي: فإنه ليس عدوا لي[١].

الدِّراسة:

الأقوال في قوله: ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾:

الأول: أن الاستثناء متصل، فهم كانوا يعبدون الله مع الأصنام، فقال إبراهيم عليه السلام فإن جميع ما تعبدون عدوٌ لي إلا رب العالمين ليس عدوٌ لي.

قاله الفرَّاء[٢]، وابن جرير[٣].

الثاني: أنه استثناء منقطع، والمعنى: إن كل ما تعبدون من الأصنام عدوٌ لي لكن رب العالمين أعبده[٤].

وجوز النَّحاس كلا القولين[٥].

الثالث: في الآيات تقديم وتأخير، وتقدير الكلام: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون، إلا رب العالمين فإنهم عدوٌ لي[٦].

قال الواحدي: فيه تعدٍّ واستكراه[٧].

قال أبو حيَّان: ولا حاجة إلى هذا التقدير لصحة أن يكون مستثنى من قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾[٨].

---

(١) مجالس ثعلب١/١٣

(٢) معاني القرآن٢/٢٨١

(٣) جامع البيان١٧/٥٩١

(٤) ينظر: معاني القرآن، للزجاج ٤/٩٣، ومعاني القرآن، للنحاس ٥/٨٦، والتفسير البسيط ١٧/٦٦، والبحر المحيط٧/٢٤، والدر المصون٨/٥٣٠

(٥) معاني القرآن٥/٨٦

(٦) ينظر: التفسير البسيط١٧/٦٧، والبحر المحيط٧/٢٤، والدر المصون٨/٥٣٠، ونسبه للجرجاني.

(٧) التفسير البسيط١٧/٦٧

(٨) البحر المحيط٧/٢٤

النتيجة:

الآية تحتمل كلا القولين الأول والثاني ، لأنهم كانوا يعبدون الله تعالى مع الأصنام، وليس هناك ما يمنع القول بكليهما.

وأما القول بالتقديم والتأخير، فيقدم عليه القول الذي ليس فيه تقديم ولا تأخير إذا أمكن حمل الآية فيه على معنى صحيح، والله تعالى أعلم.

(٣١٠) قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٠٦

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ ﴾ سمعت الإمامين يقولان: أخوهم في النسب، ليس في الدين[1].

الدِّراسة:

هو قول جميع المفسِّرين[2].

وهكذا سُنَّة الله تعالى في أنبيائه ورسله، يبعث النَّبي والرَّسول من قومه: ﴿ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ ﴾ التوبة: ١٢٨.

(١) ياقوتة الصراط:٣٨٦

(٢) ينظر: معاني القرآن، للزجاج ٩٥/٤، والكشف والبيان ١٧٣/٧، والتفسير البسيط ٨٢/١٧، ومعالم التنزيل ١٢١/٦، وزاد المسير١٣٣/٦،

(٣١١) قوله تعالى :﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٦

وقوله تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾، قال ثعلب: معناه: أطلنا أعمارهم ثم جاءهم الموت[1].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى الآية:

الأول: جاءهم الموت.

وهو قول ثعلب.

الثاني: جاءهم العذاب.

وهو قول الجمهور[2].

النتيجة:

كلا القولين تحتمله الآية، ولا تعارض في القول بهما جميعاً لأنهم قد تُوعِّدوا وحذروا من الموت والعذاب إن لم يتوبوا.

(١) المحكم والمحيط الأعظم٢/٦٣، وينظر: لسان العرب٨/٣٣١

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٧/٦٥٠، والتفسير البسيط١٧/١٣٥، ومعالم التنزيل ٦/١٣٠، وزاد المسير٦/١٤٦

سورة النمل

(٣١٢) قوله تعالى :﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ النمل: ٧

قال أحمد بن يحيى: أصل الشهاب عود في أحد طرفيه جمرة والآخر لا نار فيه ، والجذوة[١] كذلك إلا أنها أغلظ من الشهاب وسميت جذوة لأنها أصل الشَّجرة كما هي[٢].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى (الشهاب):

الأول: العود الذي في أحد طرفيه نار.

قاله ابن السكيت[٣].

الثاني: النَّار.

قاله أبو عبيدة[٤]، واليزيدي[٥].

الثالث: كل ذي نور.

قاله الزَّجاج[٦].

النتيجة:

القول الأول والثاني متقاربان ولا تعارض بينهما، فالشهاب جزء وقطعة من النَّار، ولذلك قال:﴿ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ أي: أن ذلك الشهاب أُقتبس وأُخذ من تلك النَّار[٧].

أم القول الثالث فقد تناول المعنى اللغوي العام للشهاب، فيشمل النَّار والنَّجم وغيرهما.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى في سورة النمل: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ القصص: ٢٩

(٢) معاني القرآن، للنحاس٥/١١٥

(٣) التفسير البسيط١٧/١٦١

(٤) مجاز القرآن٢/٩٢

(٥) غريب القرآن:٢٨٦

(٦) معاني القرآن٤/١٠٨

(٧) ينظر: عمدة الحفاظ، مادة(ش ه ب)

(٣١٣) قوله تعالى :﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ النمل: ١٠

قال أبو العبَّاس: قال شبهها في عظمها بالثعبان، وفي خفتها بالجان، ولذلك قال تعالى مرة:﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ الأعراف:١٠٧، **ومرة:﴿ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾** [1] .

(١) تهذيب اللغة ٢/١٠،٢٠١/٢٦٦، وينظر: لسان العرب١٣/٩٨، سبق دراسة هذه المسألة في سورة الأعراف آية:١٠٧.

(٣١٤) قوله تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ النمل: ١٨

وأما ثعلب فقال: إنما خاطب النَّمل بيا أيها ، لأنه جعلهم كالنَّاس فقال: يا أيها النَّمل ، كما تقول للناس، يا أيها النَّاس، ولم يقل ادخلي لأنها كالنَّاس في المخاطبة[1].

الدِّراسة:

القاعدة في التفسير: من شأن العرب أن تخبر عن غير العاقل بخبر العاقل إذا نسبت إليه شيئاً من أفعال العقلاء.

مثل قوله تعالى :﴿ ٱلۡمُحَادِلَةِ ٱلۡحَشۡرِ ٱلۡمُمۡتَحَنَةِ ٱلصَّفِّ ٱلۡجُمُعَةِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ٱلتَّغَابُنِ ٱلطَّلَاقِ ٱلتَّحۡرِيمِ ٱلۡمُلۡكِ ٱلۡقَلَمِ ﴾ يوسف: ٤ ، وقوله ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ فصلت: ١١[2]

قال الزَّجاج: جاء لفظ (ادخلوا) كلفظ ما يعقل، يقال للناس : ادخلوا، وكذلك الملائكة والجن، وكذلك دَخَلُوا، فإذا ذكرت النمل قلت: قد دَخَلْنَ ودَخَلَتْ، وكذلك سائر ما لا يعقل، إلا أن النمل ههنا أُجري مجرى الآدميين حين نطق كما ينطق الآدميون[3].

---

(١) لسان العرب١٤/٥٩

(٢) ينظر: قواعد في التفسير١/٣٠٧-٣٠٨

(٣) معاني القرآن٤/١١٢، وينظر: التفسير البسيط١٧/١٩٠، والمحرر الوجيز٤/٢٥٤

(٣١٥) قوله تعالى : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل: ١٩

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾

ألهمني[1].

الدِّراسة:

الوَزُوع في اللغة بمعنى الوُلُوع، وأَوزَعه الشيء، أي: أَلهمه إياه حتى أصبح مولعاً به[2].

والمعنى: ربي ألهمني شكرك حتى أكون مولعاً بها.

هكذا جاء عن المفسِّرين وأهل المعاني في الآية[3].

(١) مجالس ثعلب١/١٧٥

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(و ز ع)

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٢/٢٨٩، وجامع البيان، للطبري١٨/٢٨-٢٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٢٨٥٨-٢٨٥٩، ومعاني القرآن، للزجاج ٤/١١٢، ومعاني القرآن، للنحاس ٥/١٢٢، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(و ز غ) والتفسير البسيط١٧/١٩٣، وعمدة الحفاظ، مادة(و ز ع)

(٣١٦) قوله تعالى :﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ النمل: ٢٥

وفي التنزيل :﴿ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾، أي: المخبوء .

وقال ثعلب: الخَبْء الذي في السموات، هو المطر، والخبء الذي في الأرض ، هو النبات.

والصحيح –والله أعلم– أن الخبء كل ما غاب، فيكون المعنى : يعلم الغيب في السموات والأرض، كما قال﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[1].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: الجمهور على أن المراد بالخبء في الآية كل م ا غاب واستتر في السموات والأرض، واستدلوا بخاتمة الآية﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[2].

الثاني: قول ثعلب: الخَبْء الذي في السموات، هو المطر، والخبء الذي في الأرض، هو النبات.

النتيجة:

قول الجمهور هو الراجح لأنه لا دليل في الآية على تخصيصه بالمطر والنبات، فيشمل هذا وغيره من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٥/٢٤٠

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة(خ ب ء)، والتفسير البسيط١٧/٢١٤، وزاد المسير٦/١٦٦، والجامع لأحكام القرآن١٦/١٤٥، وعمدة الحفاظ، مادة(خ ب ء)

(٣١٧) قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ النمل: ٨٩

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾

تضاعف له[١].

الدِّراسة:

اختلف المفسِّرون في معنى﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ بناء على المراد ﴿ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾:

القول الأول: الحسنة: لا إله إلا الله، و﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ فيها تقديم، والتقدير: فله منها خير وهو الثواب.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والحسن، وقتادة وعكرمة، وابن جريج[٢]، ومقاتل[٣]، وقاله ابن جرير[٤].

الثاني: الحسنة: فعل الطاعة، و﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ الثواب، فالطاعة فعل العبد، والثواب من الله تعالى.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٥].

الثالث: الحسنة: فعل الطاعة، و ﴿ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ مضاعفة ثواب الطاعة، وهي كقوله تعالى:﴿ ٱلْبَقَرَةِ ءَالِ عِمْرَانَ ٱلنِّسَآءِ ٱلْمَآئِدَةِ ٱلْأَنْعَامِ ٱلْأَعْرَافِ ﴾ الأنعام: ١٦٠.

وهذا قول ثعلب، وروي عن محمد بن كعب، وابن زيد[٦]، وحسَّنه البغوي [٧]، وقاله الزَّمَخشَري[٨].

---

(١) مجالس ثعلب١/١١٧

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/١٤٣-١٤٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٩٣٥

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/٤٨٧

(٤) ينظر: جامع البيان١٨/١٣٩

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٨/٢٩٣٤

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/١٤٤، ومعالم التنزيل٦/١٨٣

(٧) معالم التنزيل٦/١٨٤

(٨) الكشاف٣/٣٧٥

النتيجة:

الراجح من الأقوال قول ثعلب، ويؤيده صريح ما جاء في القرآن من إرادة التفضيل.

سورة القصص

(٣١٨) قوله تعالى :﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ القصص: ١٠

قوله تعالى:﴿ فَٰرِغًا ﴾

قال ثعلب: اختلف النَّاس في قوله جل وعز: ﴿ فَٰرِغًا ﴾، فقال طائفة: فرغ من كل شيء إلا من حزنها عليه. وقالت طائفة: فرغ فؤادها من خوفها عليه لوعد الله لها أن يرده إليها، من قوله:﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ ﴾ القصص: ٧ **، قال أبو العبَّاس: وعلى هذا العمل. قيل له فقوله عز وجل :﴿ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ ﴾ بأي شيء كادت تبدي به، قال: كادت تقول: ما في قلبي إلا حزنه، وكادت تقول: قد فرغ قلبي من حزنه لوعد ربي إياي أن يرده إلي، قال: ولو أبدت أحد القولين لقتل موسى ﷺ ولكن الهز –عز وجل– أمسك لسانها عن أن تبدي ما في قلبها، ليبلغ موسى ما أراده(١).**

وقال أبو العبَّاس في قوله تعالى:﴿ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ قال: ربطنا على قلبها لا تقول هو ابني، لتكون من المؤمنين بما أمرها وأنزل إليها(٢).

الدِّراسة:

الأقوال في معنى الآية:

الأول: أصبح قلب أم موسى فارغاً من كل هم وحزن إلا هم موسى عليه السلام والحزن عليه، ولأجل ذلك كادت تخبر به خوفاً عليه من الغرق أو ينسب لفرعون أو وجداً وإشفاقاً عليه، ولكن الله تعالى ثبتها بالصبر واليقين، من أجل أن تكون من المؤمنين بوعد الله لها في حفظ موسى عليه السلام ورده إليها.

قول جمهور المفسِّرين(٣).

---

(١) ياقوتة الصراط:٣٩٧

(٢) مجالس ثعلب٢/٤١٩

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/٣٠٣، وجامع البيان، للطبري١٨/١٦٧-١٦٨، ومعاني القرآن، للزجاج٤/١٣٤، والتفسيرالبسيط١٧/٣٣٩

الثاني: أصبح قلب أم موسى فارغاً من كل حزن وهم ، وذلك لوعد الله برده إليها، وكادت تقول: ما في قلبي إلا حزنه، وكادت تقول : قد فرغ قلبي من حزنه لوعد ربي إياي أن يرده إلي، ولو أبدت أحد القولين لقتل موسى ﷺ، ولكن الله تعالى ثبتها بالصبر واليقين، من أجل أن تكون من المؤمنين بوعد الله لها في حفظ موسى عليه السلام ورده إليها.

قاله أبو عبيدة[1]، وهو قول ثعلب.

الثالث: أصبح قلب أم موسى فارغاً من عهد الله لها بحفظ موسى عليه السلام ، فكادت تخبر عنه شفقة وخوفاً عليه من الموت، ولو أبدت لقتل موسى عليه السلام، ولكن الله تعالى ثبتها بالصبر واليقين، من أجل أن تكون من المؤمنين بوعد الله لها في حفظ موسى عليه السلام ورده إليها.

ويشكل على هذا القول أنه كيف قد ثَبَتت بالصبر واليقين لتكون من المؤمنين بعهد الله وقلبها فارغاً من ذلك.

روي عن محمد بن إسحاق، وابن زيد، والحسن[2].

النتيجة:

القول المختار الأول وهو قول الجمهور والأقل في التقدير، والأقرب إلى ظاهر الآية.

---

(١) مجاز القرآن٢/٩٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/١٦٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٢٩٤٦

(٣١٩) قوله تعالى :﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ القصص: ٣١

قال أبو العبَّاس: قال شبهها في عظمها بالثعبان، وفي خفتها بالجان، ولذلك قال تعالى مرة:﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ الأعراف:١٠٧، **ومرة:﴿ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾** [1] .

(١) تهذيب اللغة ٢/١٠،٢٠١/٢٦٦، وينظر: لسان العرب١٣/٩٨، سبق دراسة هذه المسألة في سورة الأعراف آية:١٠٧.

(٣٢٠) قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٧٧

وفي قوله: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾

قال: تأخذ بحظ من الدنيا للآخرة(١).

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بالنَّصيب في الدنيا:

الأول: العمل في الدنيا لأجل الآخرة.

قول جمهور المفسِّرين(٢).

الثاني: لا تنس ما أحل الله لك في الدنيا.

روي عن قتادة، والحسن، وابن جريج(٣)، وقال به أبو عبيدة(٤)، وابن قتيبة(٥)، وابن العربي(٦)(٧)، ومال إليه ابن عطية(٨).

النتيجة:

القول الأول على أن معنى هذه الجملة توكيد لما قبلها ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾، والقول الثاني تفيد معناً جديداً، ولا شك أن التأسيس لمعنى جديد أولى من التوكيد، والله أعلم.

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٦٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٣٢٢-٣٢٤، ومعاني القرآن، للزجاج٤/١٥٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠١٠، ومعاني القرآن، للنحاس٥/٢٠٠، والتفسيرالبسيط١٧/٤٥٧

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٣٢٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠١١

(٤) مجاز القرآن٢/١١١

(٥) غريب القرآن:٣٣٥

(٦) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، أبو بكر المعافري الإشبيلي المالكي، المعروف بابن العربي، توفي سنة٥٤٣هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي٢/١٦٧، وسير أعلام النبلاء٢٠/١٩٧.

(٧) أحكام القرآن٣/١٤٧٠

(٨) المحرر الوجيز٤/٢٩٩

(٣٢١) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾ القصص: ٨٥

وقال ثعلب: معناه يردك إلى وطنك وبلدك[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: مولدك وبلدك وهي مكة.

وهو قول الجمهور[٢].

قال مقاتل: قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾، وذلك أن النَّبي ﷺ خرج من الغار ليلاً، ثم هاجر من وجهه ذلك إلى المدينة ، فسار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن رجع إلى الطريق، فنزل بالجُحفة[٣] بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة ، فاشتاق إليها، وذكر مولده ومولد أبيه، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: (**أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟**) فقال النَّبي ﷺ: (**نعم**)، فقال: جبريل:(**إن الله عز وجل يقول :﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾**)، يعنى إلى مكة ظاهراً عليهم، فنزلت هذه الآية[٤].

الثاني: الجنَّة.

روي عن مجاهد، وعكرمة، والزُّهري، والحسن[٥].

الثالث: يوم القيامة.

روي عن أبي سعيد الخدري، وابن عبَّاس ﷺ، مجاهد، وأبي صالح[٦]، ...

---

(١) تهذيب اللغة٣/٨٢ ، وينظر: التفسيرالبسيط١٧/٤٧٥، والمحكم والمحيط الأعظم٢/٣١٢، ولسان العرب٣/٣١٧

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/٣١٣، وجامع البيان، للطبري١٨/٣٥٠-٣٥١، ومعاني القرآن، للزجاج٤/١٥٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٩/٣٠٢٦، ومعاني القرآن، للنحاس ٥/٢٠٧، والتفسيرالبسيط١٧/٤٧٣-٤٧٥، وروح المعاني١٠/٣٣٣-٣٣٤

(٣) الجُحْفَة: بلدة تقع في غرب المملكة العربية السعوديةبين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل الشام ومصر، ينظر : معجم ما استعجم٢/٣٦٧، ومعجم البلدان٢/١١١.

(٤) تفسير مقاتل٢/٥٠٨

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٣٤٦-٣٤٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠٢٦

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٣٤٧-٣٤٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠٢٦

وقال به الزَّجاج[1].

الرابع: الموت.

روي عن أبي سعيد الخدري، وابن عبَّاس رضي الله عنهم، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير[2].

النتيجة:

القول الأول هو أظهرها وأرجحها، لأن معاد الرجل هو بلده وموطنه الذي يعود إليه بعد هجرته منه، ويؤيد ذلك تفسير مقاتل، وتقابل هذه البشرى للنبي ﷺ، بشرى موسى عليه السلام وردُّه إلى أمه في أول هذه السورة.

(١) معاني القرآن٤/١٥٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٣٤٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠٢٥

سورة العنكبوت

(٣٢٢) قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ العنكبوت: ٢٩

لا أناديك: لا أجالسك، يقال منه: نَدَوت الرجل: جالسته، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[1].

الدِّراسة:

النادي: هو المجلس، كما قال ثعلب: يقال: نَدَوت الرجل: جالسته، ويقال للمكان الذي يجتمع فيه القوم نادي، وإذا تفرقوا لا يسمى نادي، ومنه سُمِّيت (دار النَّدوة)[2] لأنهم كانوا يجتمعون فيها[3].

وهذا قول المفسِّرين في معنى النَّادي، أن قوم لوط يفعلون المنكر في مجلسهم بلا خوف من الله تعالى أو حياء من النَّاس[4].

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى:٨١

(٢) دار الندوة: دار أحدثها قصي بن كلاب في مكة يجتمعون فيها أهل مكة للمشاورة، ينظر: معجم البلدان٢/٤٢٣، ومراصد الاطلاع عن أسماء الأماكن والبقاع٢/٥٠٨.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ن د ي)

(٤) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٢/٣١٦، وجامع البيان، للطبري ١٨/٣٩٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠٥٤، ومعاني القرآن، للزجاج ٤/١٦٨، ومعاني القرآن، للنحاس ٥/٢٢٢، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(ن د ا)، والتفسير البسيط١٧/٥١٩، وعمدة الحفاظ، مادة(ن د ي)

سورة الروم

(٣٢٣) قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الروم: ١٥

قوله تعالى: ﴿ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾، أي: يُنَعَّمون[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: يُنعَّمُون.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة[٢]، ومقاتل[٣]، وابن الجوزي[٤].

الثاني: يُكرَمون.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والسُّدِّي، والضَّحاك[٥]، ومقاتل[٦].

الثالث: يَفرَحُون ويُسُّرون.

قاله ابن السِّكيت[٧]، وأبو عبيدة[٨]، وابن جرير[٩]، والراغب[١٠]، ومكي[١١]، وأبو حيَّان [١٢]، والسَّمين الحلبي[١٣].

الرابع: يُسَمعون صوتاً حسناً في الجنَّة.

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى:٣٤١

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٤٧١-٤٧٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠٨٩

(٣) تفسير مقاتل٣/٨

(٤) تذكرة الأريب٢/٧١

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٤٧١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠٨٩

(٦) تفسير مقاتل٣/٨

(٧) ينظر: التفسير البسيط١٨/٢٦، و تهذيب اللغة،مادة(ح ب ر)

(٨) مجاز القرآن٢/١٢٠

(٩) جامع البيان١٨/٤٧٠

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(ح ب ر)

(١١) تفسير المشكل من غريب القرآن:١٨٧

(١٢) تحفة الأريب، مادة(ح ب ر)

(١٣) عمدة الحفاظ، مادة(ح ب ر)

روي عن يحيى بن أبي كثير[1][2].

النتيجة:

كل المعاني المذكورة في هذه المسالة جاءت في اللغة[3]، والآية تحتملها ولا تعارض بينها، فالتكريم والفرح والسرور وسماع الصوت الحسن كله من النِّعم التي أعدها الله تعالى لأهل الجنَّة، والله أعلم.

(١) يحيى بن أبي كثير، أبو نصر الطائي مولاهم اليماني، اختلف في اسم أبيه فقيل: صالح، وقيل: يسار، وقيل: نشيط. تابعي محدث، وثقه الإمام أحمد وغيره، توفي سنة ١٢٩هـ، وينظر: طبقات ابن سعد ٥/٥٥٥، وسير أعلام النبلاء٦/٢٧.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٤٧٢

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ح ب ر)

(٣٢٤) قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الروم: ٤٣

﴿يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾، قال ثعلب: يعني: يوم القيامة، لأنه شيءٌ لا يُرد[1].

الدِّراسة:

لأن هذا اليوم قد حكم الله تعالى وقدَّر بمجيئه، فلا رادَّ لما قضى وقدَّر سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ الشورى: ٤٧[2]

(١) لسان العرب٣/١٧٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٨/٥١٥، ومعاني القرآن، للزجاج ٤/١٨٨، ومعاني القرآن، للنحاس ٥/٢٦٧، والتفسير البسيط١٨/٧٤، ومعالم التنزيل٦/٢٧٥

(٣٢٥) قوله تعالى :﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ الروم: ٦٠

﴿ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾

قالوا له ﷺ: اخرج إلى بلاد الشام فإنها بلاد الأنبياء. فأنزل الله هذه الآية[1].

الدِّراسة:

لم أجد –حسب بحثي واطلاعي– من ذكر هذا السبب في نزول الآية، ولعل ثعلب –رحمه الله– ذكره من باب التفسير بالمثال، والله أعلم.

ومعنى الآية: أُثبت على دينك وما أرسلك ربك به، ولا يَسْتَخِفنَّ رأيك وحلمك الذين لا يؤمنون بما جئت به[2].

قال الأزهري: واستَخفَّه فلان، إذا استجهله فحمله على اتباعه في غيه، ومنه قوله : ﴿ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[3].

(١) مجالس ثعلب١/١١٥

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٨/٥٢٩، ومعاني القرآن، للزجاج ٤/١٩٢، ومعاني القرآن، للنحاس ٥/٢٧٣، والتفسير البسيط١٨/٨٧، ومعالم التنزيل٦/٢٧٩

(٣) تهذيب اللغة، مادة٠خ ف)

سورة لقمان

(٣٢٦) قوله تعالى :﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ لقمان: ١٤

وقال في قوله عز وجل: ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾

ثقلاً على ثقلٍ[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول:ضَعفاً على ضعف.

روي عن الضَّحاك، وعطاء [٢]، وقاله أبو عبيدة [٣]، واليزيدي[٤]، وابن جرير[٥]، والزَّجاج[٦]، والنَّحاس[٧].

الثاني: ثِقلاً على ثقل.

وهو قول ثعلب.

الثاني: شِدةً على شدة.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٨].

الرابع: جَهداً على جهد.

روي عن قتادة [٩].

وهذه الأقوال كلها في وصف للأم.

الخامس: وهَنُ الولدِ وضعَفُعلى وهَنُ الأمِ وضعَفها.

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٦٩

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٥٥٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠٩٨

(٣) مجاز القرآن٢/١٢٦

(٤) غريب القرآن:٢٩٨

(٥) جامع البيان١٨/٥٥٠

(٦) معاني القرآن٤/١٩٦

(٧) معاني القرآن٥/٢٨٤

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٥٥٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠٨٩

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٥٥١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠٨٩

روي عن مجاهد[1].

النتيجة:

الراجح أنه وصف للأم لأن الآية في بيان فضل الوالدين ، فالوهن معناه الضعَف، يقال: وَهَن يَهِنُ: إذا ضَعُف، ومنه قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾ مريم: ٤[2].

فالأم تزداد ضَعفاً على ضعَف، لأنه كلما كَبِرُ الولد في بطنها زادها ثِقلاً وشِدة وجُهداً ، وهذه الأقوال من لازم معنى الضَعْف.

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٥٥١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣٠٩٨

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(و ه ن)

(٣٢٧) قوله تعالى :﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ لقمان: ١٨

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ ،نقل خَدَّك من الكِبْر و (تُصعَّرْ) و (تُصَاعر) واحد[١].

الدِّراسة:

قراء ابن كثير، وعاصم، وابن عامر بتشديد العين بدون ألف (تُصعِّر)، وقراء أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ونافع، بالتخفيف وبألف(تُصَاعِر)[٢].

وهما لغتان من لغات العرب بمعنى واحد[٣].

الأقوال في معنى ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾:

الأول: الإعراض بالوجه ولي العنق تكبراً واستحقاراً.

قول جمهور المفسِّرين[٤].

الثاني: الإعراض بالوجه ولي العنق لأجل خلاف بينه وبين أخيه.

روي عن مجاهد[٥].

الثالث: التشدق في الكلام.

روي عن إبراهيم النَّخعي[٦].

النتيجة:

أقرب الأقوال هو الأول، لأن سياق الآية في معنى الكِبْر، والصَّعَر في اللغة هو لي العنق، يقال: ناقةٌ صَعَرٌ، إذا أصيبت بداءٍ تلوي منه عُنُقها[٧].

---

(١) مجالس ثعلب١/١١٨

(٢) ينظر: السَّبعة:٣٦٤، وجامع البيان، للداني٤/١٤٧٧

(٣) ينظر: الحجة، لأبي علي الفارسي٥/٤٥٥، والكشف عن وجوه القراءات السبع٢/١٨٨

(٤) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٢/٣٢٨، ومجاز القرآن ٢/١٢٧، وغريب القرآن : ٢٩٨، وجامع البيان، للطبري١٨/٥٦٠، ومعاني القرآن، للزجاج٤/١٩٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٩/٣٠٩٩، ومعاني القرآن، للنحاس٥/٢٨٧-٢٨٨، ومفردات ألفاظ القرآن، وعمدة الحفاظ، مادة(ص ع ر)

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٥٦١

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٨/٥٦١

(٧) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ص ع ر)

(٣٢٨) قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ لقمان: ٢٢

﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: يستقبل القبلة.

﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ يتبع الرَّسول ﷺ (١).

الدِّراسة:

الأقوال ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(٢):

الأول: أخلص لله في عبادته.

روي عن الرَّبيع بن أنس(٣)، وقال به ابن جرير(٤).

الثاني: فوض أمره لله تعالى.

الثالث: خضع وتواضع لله تعالى.

قاله القرطبي(٥).

وعلى هذه الأقوال يراد بالوجه الجهة لا ذات الوجه.

الرابع: بذل له وجهه في السجود.

قاله الواحدي(٦).

الخامس: استقبل القبلة بوجهه.

وهو قول ثعلب-رحمه الله-.

وقد خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء، أو لأنه فيه أكثر الحواس، أو أنه عبر به عن الذات، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾القصص: ٨٨(٧).

---

(١) مجالس ثعلب٢/٣٩٩، ١/١٠٧، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٣/١٩٨، ولسان العرب١٣/١١٦

(٢) ينظر مجمل الأقوال في البحر المحيط١/٣٥٢

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٢/٤٣٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢٠٨

(٤) جامع البيان٢/٤٣٣

(٥) الجامع لأحكام القرآن٢/٣١٩

(٦) التفسير البسيط٣/٢٤٦

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري ٢/٤٣٣، والتفسير البسيط ٣/٢٤٧، والجامع لأحكام القرآن ٢/٣١٩، والبحر

أما قوله﴿ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ ففيه قولان:

الأول: مؤمن موحد مصدق لما جاء به الرَّسول ﷺ.

الثاني: محسن في عمله.

قاله ابن جرير[1].

النتيجة:

الراجح أن المراد بالوجه الجهة لا ذات الوجه، وإنما خُصَّ بالذكر لأنه أشرف الأعضاء.

والمعنى: ومن يخضع لله تعالى ويُخلص في عبادته مع الإحسان في عمله باتباع النَّبي ﷺ فقد استمسك بالعروة الوثقى.

المحيط١/٣٥٢

(١) جامع البيان٢/٤٣٣

سورة السَّجْدة

(٣٢٩) قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ﴾ السجدة: ٧

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾

من خفف أراد خلقه مِنَّةً ورحمة لعباده ، ويقال: الذي أعلم كل شيء خلقه، وإذا ثقل أراد: خلق كل شيء حسناً، والهاء فيهما (لله)[١].

الدِّراسة:

قول ثعلب –رحمه الله– في توجيه قراءة(خلقه) في الآية، ولعله يريد بالتخفيف والتثقيل الفتح والسكون.

قراء حمزة، وعاصم، والكسائي، ونافع بالفتح (خَلَقَه)، وقراء أبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر بالسكون(خَلْقَه)[٢].

من قرأ بالفتح فعلى أن(خلقه) فعل ماضي صفة لـــ (كل) أو (شيء)، والهاء تعود على الموصوف.

ومن قرأ السكون فعلى وجهين:

الأول: أن (خلقه) بدل اشتمال من (كل) والضمير يعود عليه، والتقدير : الذي أحسن خلق كل شيء.

الثاني: أن (خلقه) مصدر مؤكد، لمضمون الجملة المتقدمة، والضمير يعود على الله عز وجل، والتقدير: الذي أحسن كل شيء خلقه خلقاً[٣].

النتيجة:

الوجه الثاني من القراءة الثانية أعم من الأول فهو أبلغ في الامتنان، فأحسن كل شيء، أبلغ من أحسن خلق كل شيء، لأنه قد يُحسِنِ الخلق ولا يكون الشيء في نفسه حَسَنَاً[٤].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٩٠، وينظر: لسان العرب١٠/٨٥

(٢) ينظر: السَّبعة:٣٦٦، وجامع البيان، للداني٤/١٤٧٩

(٣) ينظر: القراءات وعلل النحويين فيها ٢/٥٢٩، والحجة في القراءات السبع:١٨٢، والكشف في وجوه القراءات السبع٢/١٩١

(٤) ينظر: البحر المحيط٧/١٩٩، وإتحاف فضلاء البشر٢/٣٦٦

سورة الأحزاب

(٣٣٠) قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ الأحزاب: ١

وسئل أبو العبَّاس في قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

قال: قالوا للنبي ﷺ اطرد صهيباً[١]، وسلماناً[٢]، وبلالاً[٣]، وهؤلاء فإنهم سبقوا إلى الهجرة حتى نتبعك. فأنزل الله هذا[٤].

الدِّراسة:

الأقوال في سبب نزول الآية:

الأول: أن المشركين والمنافقين سألوا النَّبي ﷺ أشياء يكرهها، فنزلت هذه الآية.

قاله الفرَّاء[٥].

الثاني: قول ثعلب -رحمه الله-، ذكره ابن جرير و لم ينسبه إلى أحد[٦].

الثالث: أن المشركين نزلوا على إخوانهم المنافقين في المدينة، وسألوا النَّبي ﷺ أن لا يذكر اللات والعزة ومناة بسوء، ويقول أن لها شفاعة ومنفعة في الآخرة لمن عبدها، فنزلت فيهم هذه الآية.

روي عن مقاتل[٧]، وذكره الواحدي[٨]، والزَّمَخشَري[٩]، والقرطبي[١٠]، ....

---

(١) صهيب بن سنان بن مالك النمري، أبو يحيى، قيل له الرومي لأن الروم سبوه ضغيراً، ثم باعوه أو هرب منهم إلى مكة، صحابي جليل من السابقين إلى الإسلام، توفي سنة ٣٨هـ، وينظر: أسد الغابة٣/٣٨ ، والإصابة٣/٣٦٤.

(٢) سلمان الفارسي، ويقال: سلمان الخير، أصله من رامهر مز، وقيل: من أصبهان، صحابي جليل، ٣٦هـ، وينظر: أسد الغابة٢/٥١٠ ، والإصابة٣/١١٨.

(٣) بلال بن رباح الحبشي، مؤذن رسول الله ﷺ، ومن السابقين إلى الإسلام، توفي سنة ٢٠هـ، وينظر: أسد الغابة١/٤١٥، والإصابة١/٤٥٥.

(٤) مجالس ثعلب١/٢٦١

(٥) معاني القرآن٢/٣٣٤

(٦) جامع البيان١٩/٥

(٧) تفسير مقاتل٣/٣٣

(٨) أسباب النزول:٢٩٣

(٩) الكشاف٣/٥٠٤

(١٠) الجامع لأحكام القرآن١٧/٥١

وأبو حيَّان[1].

الرابع: أنها نزلت في اليهود والمنافقين، كان النَّبي ﷺ يلين لهم جانبه، ويسمع منهم، رجاء إسلامهم، فنزلت هذه الآية.

ذكره الزَّمَخشَري[2]، والقرطبي[3]، وأبو حيَّان[4].

الخامس: أن أهل مكة دعوا رسول الله ﷺ إلى أن يرجع عن دينه ، ويعطوه شطر أموالهم، فنزلت الآية.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[5]، وذكره الزَّمَخشَري[6]، والقرطبي[7]، وأبو حيَّان[8].

حيَّان[8].

النتيجة:

كل هذه الأقوال لم ترو عن طريق الصحابة رضوان الله عليهم، ومن شروط صحة سبب النزول أن يرويه أحد صحابة رسول الله ﷺ بسند صحيح، لكن هذه الأقوال أقل ما فيها أن تحمل على أنها تفسير للآية الكريمة بالمثال، والله تعالى أعلم.

---

(١) البحر المحيط٧/٢١٠

(٢) الكشاف٣/٥٠٤

(٣) الجامع لأحكام القرآن١٧/٥٠

(٤) البحر المحيط٧/٢١٠

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور /٣٤٧ للطبري و لم أجده في تفسيره، والأثر ضعيف، ينظر : الاستيعاب في بيان الأسباب٣/٧٦

(٦) الكشاف٣/٥٠٤

(٧) الجامع لأحكام القرآن١٧/٥١

(٨) البحر المحيط٧/٢١٠

(٣٣١) قوله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ الأحزاب: ١٣

﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾

مُمْكِنةٌ للسُّرَّاق.

وسميت من الإنسان، لأن كل موضعٍ مُمكنٍ للسُّوء فهو عَورةٌ، وكل مخوفٍ عورةٌ، من المواضع(١).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: قاصية نخاف عليها من السُّرَّاق.

روي عن قتادة(٢)، وقاله الزَّجاج(٣).

الثاني: خالية إلا من النساء والصبيان ونخاف عليها من السُّرَّاق.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد(٤)، وقاله الفرَّاء(٥)، والنَّحا س(٦)، ومكي (٧)، والبغوي(٨)، وأبو حيَّان(٩).

الثالث: مكشوفة متخرقة نخاف عليها من السُّرَّاق.

روي عن السَّدِّي(١٠)، وقاله الراغب(١١)، والسَّمين الحلبي(١٢).

---

(١) مجالس ثعلب٢/٣٩٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/١٥

(٣) معاني القرآن٤/٢١٩

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/١٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣١٢٠

(٥) معاني القرآن٢/٣٣٧

(٦) معاني القرآن٥/٣٣٢

(٧) تفسير المشكل من غريب القرآن:١٩٣

(٨) معالم التنزيل٦/٣٣٢

(٩) تحفة الأريب، مادة(ع و ر)

(١٠) عزاه السيوطي في الدر المنثور٥/٣٥٩ إلى ابن أبي حاتم في تفسيره و لم أجده.

(١١) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(ع و ر)

(١٢) عمدة الحفاظ، مادة(ع و ر)

النتيجة:

العورة: مأخوذة من العَوَر وله في اللغة أصلان منه التداول، والآخر الخلو ومنه أخذ معنى العورة في الآية[1].

فأولى الأقوال المذكورة في المسألة الثاني والثالث لأنه يؤيدهما تصريف الكلمة وأصل اشتقاقهما، والله أعلم.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، والصحاح، مادة(ع و ر)

(٣٣٢) قوله تعالى :﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ الأحزاب: ١٩

﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾

قال: سلقه واجــ[١] واحد[٢].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: رفعوا أصواتهم بشدة.

قاله أبو عبيد[٣].

الثاني: آذوكم بالكلام وأغلظوا لكم في القول.

قول جمهور المفسِّرين[٤].

الثالث: رفع الصوت والإيذاء في الكلام.

قاله المُبرِّد[٥].

النتيجة:

الأقوال المذكورة في معنى (سلقوكم) صحيحة في اللغة[٦]، محتملة لمعنى الآية ، لا تعارض بينها، فالمنافقون رفعوا أصواتهم، وآذوا في الكلام والطلب للمسلمين.

---

(١) قال محقق مجالس ثعلب : باقي الكلمة مطموس في الأصل ١٠٧/١، والذي يظهر أنها : اجترأ. قال أبو حيَّان: سلقه: اجترأ. وأبو حيَّان يُعد من المفسِّرين الذين ينقلون أقوال ثعلب.

(٢) مجالس ثعلب١٠٧/١

(٣) غريب الحديث٦٦/١، ٤١/٢

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري ٥٤/١٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٣١٢٢/٩، ومعاني القرآن، للفراء٣٣٩/٢، ومجاز القرآن١٣٥/٢، وغريب القرآن، لليزيدي:٣٠٢، ومعاني القرآن، للزجاج٢٢١/٤، ومعاني القرآن، للنحاس٣٣٥/٥، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة (س ل ق)، وتفسير المشكل من غريب القرآن :١٩٣، ومعالم التنزيل٣٣٥/٦، وتذكرة الأريب٨٣/٢، وتحفة الأريب، مادة(س ل ق)، وعمدة ا لحفاظ، مادة(س ل ق)

(٥) ينظر: التفسير البسيط٢٠٩/١٨، وزاد المسير٣٦٦/٦

(٦) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(س ل ق)

(٣٣٤) قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٣

قال أبو العبَّاس في قوله :﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾، فيصلّي يَرحَم، ومِلائكتُه تدعو للمسلمين والمسلمات[1].

الدِّراسة:

الأقوال في صلاة الله على المؤمنين:

الأول: الرحمة.

روي عن الحسن[2]، وقاله ابن جرير[3]، والزَّجاج[4]، والبغوي[5].

الثاني: المغفرة.

روي عن سعيد بن جبير[6]، وقاله الفرَّاء[7]، والنَّحاس[8].

الثالث: الثناء.

روي عن أبي العالية[9]، وقاله ابن جرير[10]، وابن كثير[11].

الأقوال في صلاة الملائكة على المؤمنين:

الأول: الدعاء.

روي عن أبي العالية[12]، . . . . . .

---

(١) تهذيب اللغة١٢/١٦٦، وينظر: لسان العرب١٤/٤٦٥

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣١٣٩

(٣) جامع البيان١٩/١٢٣

(٤) معاني القرآن٤/٢٣١

(٥) معالم التنزيل٦/٣٦٠

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣١٣٩

(٧) معاني القرآن٢/٣٤٥

(٨) معاني القرآن/٣٥٧

(٩) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣١٣٩

(١٠) جامع البيان١٩/١٢٣

(١١) تفسير القرآن العظيم٦/٤٣٦

(١٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣١٣٩

وقاله ابن جرير[1].

الثاني: الاستغفار.

روي عن سعيد بن جبير[2]، وقاله الفرَّاء[3]، والنَّحاس[4]، وابن كثير[5]، والبغوي[6].

النتيجة:

أصل الصلاة في اللغة الدعاء[7]، فيصح جميع ما ذكر من أقوال، ولا تعارض في القول بها جميعاً، فصلاة الله تعالى رحمته، ومغفرته، وثناؤه على المؤمنين، وصلاة الملائكة الدع اء، ومنه الدعاء بالمغفرة، قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾ غافر: ٧، وقال :﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥ ﴾ الشورى: ٥.

(١) جامع البيان١٩/١٢٣

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٩/٣١٣٩

(٣) معاني القرآن٢/٣٤٥

(٤) معاني القرآن/٣٥٧

(٥) تفسير القرآن العظيم٦/٤٣٦

(٦) معالم التنزيل٦/٣٦٠

(٧) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة(ص ل ى)، والصحاح، ولسان العرب، مادة(ص ل ا)

(٣٣٤) قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ الأحزاب: ٤٤

قال ثعلب: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾الأحزاب: ٤٣ : **أجمع أهل اللغة أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار**[١].

الدِّراسة:

يقرر ثعلب -رحمه الله- عند هذه الآية عقيدة أهل السنُّة والجماعة في إثبات رؤيتي المؤمنين لربهم في الآخرة[٢]، كما نقل الإجماع عن أهل اللغة أن اللقاء في الآية لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار.

وقد دل الكتاب والسنُّة وإجماع السلَّف[٣] على حقيقة رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣، وقال ﷺ:**(إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر) الحديث**[٤][٥].

---

(١) الإبانة الكبرى٣/٦٢، ٧٥، وينظر:حادي الأرواح:٣٧٨

(٢) وقد أنكرت الم عتزلة والجهمية وطوائف من الخوارج والإمامية والمرجئة ذلك، ينظر : شرح العقيدة الطحاوية١/٢٢٥، ومعارج القبول١/٣٠٦

(٣) نقل الإجماع البيهقي، وأبو الحسن الأشعري، وابن تيمية، وابن القيم، والسفاريني، وغيرهم، ينظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد :١٣١، والإبانة عن أ صول الديانة:٥١، ومنهاج السنة ٢/٣١٦، ٣٤١، والصواعق المرسلة٤/١٤٥٣، ولوامع الأنوار٢/٢٤٠.

(٤) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة ٢٢ -٢٣، رقم(٧٤٣٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم(٦٣٣)، كلاهما عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٥) ينظر: مسألة آية:١٥ من سورة المطففين.

(٣٣٥) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾

الأحزاب: ٥٠

﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ ﴾

أي: قد علمنا الفرض الأول وزدنا فرضا آخر(١).

الدِّراسة:

هذه الجملة اعتراضية، قال الواحدي: وهذا قول جميع المفسِّرين، قالوا: فرضنا على أمتك ألا يتجاوز الأربع ولا ينعقد نكاحهم إلا بالأولياء والشهود(٢).

ولعل ثعلب -رحمه الله- يريد بالفرض الآخر خصوصية النَّبي ﷺ بالهبة في الزوجة دون سائر المؤمنين، والله تعالى أعلم.

---

(١) مجالس ثعلب١/١٨١

(٢) التفسير البسيط١٨/٢٧٦، وينظر: جامع البيان، للطبري١٩/١٣٩، والمحرر الوجيز٤/٣٩٢

(٣٣٦) قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦

وقال في قوله تعالى:﴿ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾

قولوا: السلام يا رسول الله[١].

الدِّراسة:

والمراد من (وسلموا تسليماً)، أي: حَيُّوه بتحية الإسلام[٢].

قال السَّمعاني: وأما السلَّام على الرَّسول فهو أن تقول: السلَّام عليك أيها النَّبي ورحمة الله وبركاته، هذا في حق أصحاب رسول الله ، وكانت السنة لهم أن يواجهوا الرَّسول على هذا الوجه، فأما في حق سائر المؤمنين ففي التشهد يقول على ما هو المعروف[٣].

ويضاف إلى ذلك السلَّام عليه عند قبره ﷺ[٤].

(١) مجالس ثعلب١/٢٣٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٩/١٧٥، ومعالم التنزيل٦/٣٧٢

(٣) تفسير القرآن ٤/٣٠٥، ويريد بالمعروف قول المصلي في التشهد: السلام عليك أيها النَّبي ورحمة الله وبركاته.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن١٧/٢٢١

(٣٣٧) قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ الأحزاب: ٦٨

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾، قال ثعلب: معناه دم عليه[١].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- هو تفسير لقراءة الجمهور بالثاء(كثيراً)، أي: يلعنُون مرَّة بعد مرَّة.

قال تعالى: ﴿ طٰهٰ الأَنبِيَاءِ الحَجِّ المُؤمِنُونَ النُّورِ الفُرقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ ﴾ البقرة : ١٥٩، وقال :﴿ الرَّحْمٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ ﴾ البقرة: ١٦١

وقرأ عاصم وحده بالباء(كبيراً) من العظمة، أي: لعناً عظيماً[٢].

وحاول مكي جمع المعنيين على قراءة عاصم، فقال : وكان كل شيء كبيراً عظيماً دل العِظَم على الكثْرة وعلى الكِبْر، فتضمنت القراءة بالباء المعنيين جميعاً، الكِبْر والكثْرة[٣].

وفي الواقع أنه ليس كل عظيم يلزم منه أن يدل على الكثرة، فالقرآن عظيم وهو واحد ، والحرم المكي عظيم وهو واحد، وقل ما شئت.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٦/٧٩٢، وينظر: لسان العرب٥/١٣٢

(٢) ينظر: السَّبعة:٣٧١، وجامع البيان، للداني٤/١٤٩٨، والقراءات وعلل النحويين فيها٢/٥٤٥، وحجة القراءات، لابن زنجلة:٥٨٠

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع٢/٢٠٠

(٣٣٨) قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٢

وفي المراد بالإنسان أربعة أقوال:

أحدها: آدم، في قول الجمهور(١).

والثاني: قابيل، في قول السدِّي(٢).

والثالث: الكافر والمنافق، قاله الحسن(٣).

والرابع: جميع النَّاس، قاله ثعلب(٤).

الدِّراسة:

اختلاف المفسِّرين في المسألة مبني على نوع اللام في (الإنسان)، هل هي للعهد، أم للجنس؟ فأصحاب الأقوال الثلاثة الأولى على أنها للعهد، وأصحاب القول الرابع على أنها للجنس.

والصحيح أنها للجنس، وتشمل جميع النَّاس.

وقد يشكل على هذا القول وصف الإنسان في الآية بالظلم والجهل، وهذا لا يناسب مقام الأنبياء والصالحين.

لكن يمكن الإجابة عليه بأن هذا الوصف لا يلزم منه وصف جميع من حمل الأمانة به، فمنهم من هو ظالم، ومنهم من هو مقتصد، ومنهم من هو سابق إلى الخيرات، والآية التي بعدها دلت على ذلك: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٣

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/١٩٦-٢٠١، ومعاني القرآن، للزجاج ٤/٢٣٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣١٥٩، والتفسير البسيط١٨/٣٠٤-٣٠٥، وزاد المسير٦/٤٢٩،

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٢٠٣

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٢٠٦، ورواه أيضاً عن قتادة.

(٤) زاد المسير٦/٤٢٩

سورة سبأ

(٣٣٩) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ سبأ: ١٥

وعن ثعلب معناه اسكن واعبد[١].

والدِّراسة:

وهذه حكمة الله تعالى من خلق النَّاس، أوجدهم في الأرض، ورزقهم من الطيبات، لأجل أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا. قال تعالى:﴿ ﴾ البقرة: ١٧٢ ، وقال:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات: ٥٦

بل وعد بالمزيد من الخير والرِّزق إن قابل العبد ذلك بالشكر، فقال: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ﴾ إبراهيم: ٧

وشكر الله تعالى على هذه النِّعم يكون بالعبادة له جل وعلا : ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ الحج: ٤١ .

(١) الكشاف٣/٥٥٨، وينظر: روح المعاني١١/٣٠٠

(٣٤٠) قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾ سبأ: ١٦

﴿ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾

قال: نبت يعرفونه(١).

الدِّراسة:

ثعلب -رحمه الله- اقصر على تفسير ذلك بأنه نبات و لم يبين نوع هذا النبت، و أما العلماء فلهم في معنى (خمط) أقوال:

الأول: ثمر الأراك أو الأراك.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، والحسن، والضَّحاك، وابن زيد (٢)، وقاله ابن جرير(٣)، وابن الجوزي(٤).

الثاني: كل نبت أخذ طعم المرارة.

قاله الزَّجاج(٥)، والسَّمين الحلبي(٦).

الثالث: كل نبت ثمرته ذات شوك.

قاله أبو عبيدة(٧)، ومكي(٨)، وأبو حيَّان(٩).

الرابع: شجر لا شوك له.

قاله الراغب(١٠).

---

(١) مجالس ثعلب١/١٧٥

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٢٥٥-٢٥٦ ، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣١٦٦

(٣) جامع البيان١٩/٢٥٥

(٤) تذكرة الأريب٢/٩٣

(٥) معاني القرآن٤/٢٤٩

(٦) عمدة الحفاظ، مادة(خ م ط)

(٧) مجاز القرآن٢/١٤٧

(٨) تفسير المشكل من غريب القرآن:١٩٦

(٩) تحفة الأريب، مادة(خ م ط)

(١٠) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(خ م ط)

النتيجة:

ما ذكر في معنى (خمط) صحيح في اللغة[1]، ويمكن تفسير الآية به، أما أن يحدد بنوع من الشَّجر، فهذا يحتاج إلى دليل، فليس في القرآن ولا في السنة تحديد له، والله أعلم.

(١) معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(خ م ط)

(٣٤١) قوله تعالى :﴿ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤ ﴾ سبأ: ٢٤

وقال أبو العبَّاس في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى ﴾ كما تقول للرجل: أحدنا كاذب. أو أحدنا مخطئ، تكذيباً جميلاً[1].

الدِّراسة:

(أو) في ظاهرها للشك، وليس المعنى على ذلك، والمفسِّرون راعوا حقيقة المعنى، ولذلك جعلوا (أو) بمنزلة الواو[2].

قال الفرَّاء: والمعنى في قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ ﴾: إنَّا لضالُّون أو مهتدون، وإنَّكم أيض اً لضالُّون أو مهتدون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي وأن غيره الضَّال . فأنت تقول في الكلام للرجل: إن أحدنا لكاذب. فكذَّبته تكذيباً غير مكشوف، وهو القرآن وفي كلام العرب كثير أن يوجَّه الكلام إلى أحسن مذاهبه إذا عرف[3].

والمعنى: إنا لعلى هدى وإياكم على ضلال مبين، و(أو) بمعنى الواو في الموضعين.

وهذا أسلوب استدارج المخاطب، والتعريض فيه أبلغ من التصريح، إذ فيه ملاطفة وتنزُّل في المجادلة مع الخصم، إلى غاية الإنصاف[4].

---

(١) مجالس ثعلب١/١٣٢

(٢)ينظر: معاني القرآن، للزجاج٤/٢٥٣، ومعاني القرآن، للنحاس/٤١٧، والتفسير البسيط١٨/٣٦٢-٣٦٤

(٣) معاني القرآن٢/٣٦٢ وينظر: مجاز القرآن٢/١٤٨

(٤) ينظر: البحر المحيط٧/٢٧٩، والدر المصون٩/١٨٣

(٣٤٢) قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ سبأ: ٥٢

وعن ثعلب (التناؤش) بالهمزة التناول من بعُد، وبغير همزة التناول من قرب[1].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- في توجيه معنى القراءات في (التناوش).

قرأ نافع، وابن عامر، وابن كثير، وعاصم بدون همز، من (ناش)، بمعنى تناول من قرب، أي:كيف يكون لهم التناول من قريب للإيمان بالآخرة بعد أن أصبح بعيداً؟

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي بالهمز، من (نأش)، وفيه وجهان:

الأول: بمعنى أبطأ، أي: كيف لهم أن يتحركوا فيما لا حيلة لهم فيه؟

الثاني: بمعنى طلب من بُعد، أي: كيف لهم طلب الإيمان في الآخرة بعد أن كان بعيداً؟

وقيل من (ناش)، لكن لما انضمت الواو أبدلوا منها همزة، فيكون المعنى:كيف يكون لهم التناول من قريب للإيمان بالآخرة بعد أن أصبح بعيداً؟[2]

النتيجة:

إذا كانت هذه الأقوال صحيحة في اللغة [3]، محتملة لمعنى الآية لا تعارض بينها، فلا مانع من القول بالجميع، والله أعلم.

---

(١) مدارك التنزيل٣/٤٨١، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٨/٨٣، ١٢٥، ولسان العرب٦/٣٤٩، ٣٦١

(٢) ينظر: السَّبعة:٣٧٥، وجامع البيان، للداني ٤/١٥٠٥، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/، والقراءات وعلل النحويين فيها٢/٥٥٦

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، معجم مقاييس اللغة، الصحاح، لسان العرب، مادة(ن أ ش)

سورة فاطر

(٣٤٣) قوله تعالى :﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر: ١٤

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾

قال: تكفرُ الآلهة ما أشركوهم به في الدنيا[١].

الدِّراسة:

هذا قول المفسِّرين في الآية[٢].

قال ابن جرير: ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله ، من أن تكون كانت لله شريكاً في الدنيا[٣].

وقال أبو حيَّان: وأضاف المصدر في ﴿ بِشِرْكِكُمْ ﴾، أي: بإشراككم لهم مع الله في عبادتكم إياهم كقوله :﴿ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ ٱلرَّعْدِ ﴾ يونس : ٢٨، فهي إضافة إلى الفاعل[٤].

(١) مجالس ثعلب١/١٤٧

(٢) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٤/٢٦٧، ومعاني القرآن، للنحاس٥/٤٤٨، وزاد المسير٦/٤٨١

(٣) جامع البيان١٩/٣٥١

(٤)البحر المحيط٧/٣٠٥

(٣٤٤) قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ ﴾ فاطر: ٢١

﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾

يريد: الظل والحر، ويكون الجنَّة والنَّار[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـــ(الظَّل والحرور):

الأول:الجنَّة والنَّار.

روي عن السدِّي[٢]، وقاله الفرَّاء[٣]، والبغوي[٤].

الثاني: ظل الأشياء المعروف، والحرور الرياح الحارَّة في النَّهار وهي السموم.

قاله أبو عبيدة[٥]، وابن جرير[٦]، والنَّحاس[٧].

وقال الزَّجاج[٨]، والزَّمَخشَري[٩] والحرور الرياح الحارة في الليل والنَّهار.

النتيجة:

اختلاف العلماء في المراد بالظِّل والحرور مبني على الاختلاف في المقصود من ضرب المثل.

فمن يقول قُصد من ذلك بيا ن الفرق بين إيمان المؤمن وكفر الكافر، قال : أراد بالظِّ ل والحرور المؤمن والكافر، والمعنى: فكما لا يستوي المؤمن والكافر فكذلك لا يستوي الظِّ ل والحرور.

---

(١)مجالس ثعلب٢/٤٧٥

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣١٧٩

(٣) معاني القرآن٢/٣٦٩

(٤) معالم التنزيل٦/٤١٨

(٥) مجاز القرآن٢/١٥٤

(٦) جامع البيان١٩/٣٥٧

(٧)معاني القرآن٥/٤٥٢

(٨) معاني القرآن٤/٢٦٨

(٩) الكشاف٣/٥٩٠

ومن قال قُصد من ذلك بيان الفرق بين جزاء المؤمن وجزاء الكافر قال : أراد بالظِّل الجنَّة، وبالحرور النَّار.

(٣٤٥) قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ فاطر: ٢٢

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾

أي: المؤمن والكافر(١).

الدِّراسة:

هذا قول المفسِّرين في الآية(٢).

قال ابن جرير: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، ولا الأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال.

وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان، والكافر والكفر(٣).

ويؤيد هذا قوله تعالى عن أموات القلوب من الكفار :﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ النحل: ٢١

(١) مجالس ثعلب٢/٤٧٥، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم٣/٣٩٥، ولسان العرب١٤/٢١٢

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٢/٣٦٩، ومعاني القرآن، للزجاج ٤/٢٦٨، ومعاني القرآن، للنحاس٥/٤٥٢، وزاد المسير٦/٤٨٣

(٣) جامع البيان١٩/٣٥٧

(٣٤٦) قوله تعالى :﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ فاطر: ٣٧

وقال في قوله عز وجل: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾

قال: الرَّسول ﷺ، ويكون الشيب [١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: الرَّسول ﷺ.

روي عن ابن زيد، والسدِّي[٢]، وقاله الفرَّاء[٣]، والزَّجاج[٤]، والنَّحاس [٥]، والواحدي [٦]، والبغوي[٧]، وابن كثير[٨].

الثاني: الشيب.

روي عن عكرمة[٩].

النتيجة:

الراجح القول الأول لأنه سمي ووصف به الرَّسول ﷺ في أكثر من أية، قال تعالى في هذه السورة ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ فاطر : ٢٣، وقال :﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الحجر : ٨٩، وقال :﴿ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ الأعراف : ١٨٨ ،

(١) مجالس ثعلب٢/٤٧٥، وينظر: ياقوتة الصراط:٤١٩، والمحكم والمحيط الأعظم١٠/٦٢، ولسان العرب٥/٢٠٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٩/٣٨٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣١٨٥

(٣) معاني القرآن٢/٣٧٠

(٤) معاني القرآن٤/٢٧٢

(٥) معاني القرآن٥/٤٦٢

(٦) التفسير البسيط١٨/٤٣٣

(٧) معالم التنزيل٦/٤٢٥

(٨) تفسير القرآن العظيم٦/٥٥٦

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣١٨٥

وقال :﴿ طٰهٰ الأَنبِيَاءِ الحَجِّ المُؤمِنُونَ النُّورِ الفُرقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ ﴾ هود: ٢، والأولى أن يحمل المراد في الآية على المشهور في القرآن، وكما أن هذا القول تؤيده قاعدة التأسيس أولى من التوكيد، لأن الشيب يكون توكيداً للتعمير، والله أعلم.

سورة يس

(٣٤٧) قوله تعالى: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ يس: ١٠

قال ثعلب: هذا خاص لقوم معينين، إنهم في علم الله لا يؤمنون[1].

الدِّراسة:

كما قال ثعلب -رحمه الله- أن الإيمان لهم غير متحقق وهو في علم الله سواء جاءهم الإنذار أم لا.

لكن مَنْ هم هؤلاء القوم المعنيون؟ ولماذا لا يؤمنون؟

سبق الجواب عن ذلك في الآية التي قبلها، وهم من جاءهم الإنذار والذك رى فأعرضوا وزاغوا، فحقت عليهم كلمة الله أنهم لا ينتفعون بالإنذار ولا يؤمنون لو جاءهم مرة أخرى، كما قال تعالى: ﴿ الۡحَدِيدِ الۡمُجَٰدِلَةِ الۡحَشۡرِ الۡمُمۡتَحَنَةِ الصَّفِّ الۡجُمُعَةِ الۡمُنَٰفِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحۡرِيمِ الۡمُلۡكِ الۡقَلَمِ الۡحَاقَّةِ الۡمَعَارِجِ نُوحٍ الۡجِنِّ الۡمُزَّمِّلِ الۡمُدَّثِّرِ الۡقِيَامَةِ الۡإِنسَٰنِ الۡمُرۡسَلَٰتِ النَّبَإِ النَّازِعَٰتِ عَبَسَ التَّكۡوِيرِ الۡإِنفِطَارِ الۡمُطَفِّفِينَ الۡإِنشِقَاقِ الۡبُرُوجِ ﴾ يونس: ٩٥ – ٩٧

وقال: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ الصف: ٥، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾ محمد: ١٧.

(١) ياقوتة الصراط:٤٢١

(٣٤٨) قوله تعالى :﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ يس: ٣٠

قوله تعالى:﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾

قال ثعلب: معناه: ياحسرة عليهم لا علينا ولا رسلنا(١).

الدِّراسة:

الأقوال في المُتَحَسِّر(٢):

الأول: الله تعالى.

من باب المجاز والاستعارة للتهويل والتعظيم.

الثاني: الملائكة.

الثالث: الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى القرية.

الرابع: الرجل الذي جاء من أقصى المدينة.

الخامس: المؤمنون عند حلول العذاب على الكافرين، فيتحسَّرون على رفضهم للإيمان فاستحقوا العذاب.

السادس: المكذبين والمستهزئين يوم القيامة، يتحسرون على عدم إيمانهم.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة، ومجاهد(٣).

النتيجة:

الحَسرَ أشد الندامة(٤).

والصحيح أن الله تعالى لا يوصف بالحسرة ولا يليق ذلك، ولا يقبل القول بالمجاز في ذلك، وفي غيره من الأقوال الأخرى غُنية.

---

(١) ياقوتة الصراط:٤٢١

(٢) ينظر: النكت والعيون/١٥، والبحر المحيط٧/٣٣٢-٣٣٣، والدر المصون٩/٢٥٩-٢٦٠

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٩/٤٢٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣١٩٣

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ح س ر)

أما أرجح الأقوال في المُتَحَسِّر، فهو ما يؤيده سياق الآيات وهم أصحاب القرية، والذين جاءهم الرجل من أقصى المدينة يسعى فكذبوه، فيوم القيامة يندمون أشد الندم على عدم استجابتهم لرسلهم عند مشاهدة العذاب.

(٣٤٩) قوله تعالى: ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ يس: ٣٥

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل: ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾

قال: النَّخل والكَرْم وما أشبههما[1].

الدِّراسة:

يريد ثعلب -رحمه الله- بقوله هذا ذكر الأشجار التي ذكرها تعالى في الآية السابقة : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ يس: ٣٤ على أنها تفسير للثمر في هذه الآية .

و الكَرْم: شجرة العنب، واحدتها كَرْمَة[2].

(١) مجالس ثعلب١/١٥٥

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، لسان العرب، مادة(ك ر م)

(٣٥٠) قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ يس: ٣٩

ثعلب: ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ قال: العرجون الذي يبقى من الكِباسة في النَّخلة إذا قطعت والقديم البالي[١].

الدِّراسة:

وهذا قول المفسِّرين في معنى العرجون[٢].

قال الزَّجاج: عود العِذق الذي يسمى الكباسة، وحقيقة العُرجون أنه العود الذي عليه العِذق، والعرجون عود العِذق الذي تركبه الشماريخ من العِذق، فإذا جفَّ وَقَدُم دَقَّ وصَغُر فحينئذ يشبه الهِلال في آخر الشهر، وفي أول مَطلعه[٣].

وفي اللغة: العَذق بالفتح: النخلة بحملها، والعِذق بالكسر: الكُباسة[٤].

(١) الجامع لأحكام القرآن١٧/٤٤٧

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/٣٧٨، وجامع البيان، للطبري ١٩/٤٣٦-٤٣٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣١٩٥، ومعاني القرآن، للنحاس٥/٤٩٥، والتفسير البسيط١٨/٤٨

(٣) معاني القرآن٤/٢٨٧

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، والصحاح، مادة(ع ر ج)

(٣٥١) قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ يس: ٤١

﴿ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾

قال: ذرية آبائهم[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: الآباء والأجداد الذين حُمِلوا في سفينة نوح عليه السلام، وسُمِّي الآباء ذرية لأنهم منهم ذرأ الأبناء، فيسمى به الفاعل كما يسمى به المفعول.

قول الجمهور[٢].

الثاني: أولادهم لأنهم حُمِلوا في أصلاب آبائهم في سفينة نوح عليه السلام.

قاله الزَّمَخشَري[٣].

وهذا فيه بُعْدٌ وتكلُّف، لأن الأولى ذكر نعمة الله عليهم في حملهم هم أنفسهم في الفلك لا حمل أبنائهم.

الثالث: أولاد القرون الماضية حُمِلوا في سفينة نوح عليه السلام، والضمير المتصل في الذُّرِّيات ضمير الجنس.

قاله النَّحاس[٤]، وابن عطية[٥].

وفيه بعد لاختلاف مرجع الضميرين.

الرابع: أولادهم وضعفاءهم حملوا في السفن حيث يصعب عليهم المشي والركوب[١].

---

(١) مجالس ثعلب١/١٥٧، وينظر: التفسير البسيط١٨/٤٨٨، وتفسير القرآن، للسمعاني٤/٣٨٠

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/٣٧٩، وجامع البيان، للطبري ١٩/٤٤٢، ومعاني القرآن، للزجاج ٤/٢٨٨، ومعالم التنزيل٧/١٨، والبحر المحيط٧/٣٣٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٦/٥٧٩

(٣) الكشاق٤/١٨

(٤) معاني القرآن٥/٤٩٨

(٥) المحرر الوجيز٤/٤٥٥

جوزه أبو حيَّان[٢].

وعلى هذا يكون قوله بعد هذه الآية :﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ يس : ٤٢ تكراراً لما ذكر في هذه الآية.

الخامس: النُّطَف، حُمِلوا في بطون الأمهات[٣].

والتفسير بهذا لا يدل عليه اللفظ.

النتيجة:

الأول أولى لاتحاد عود الضمير فيه، وموافقته لظاهر النص، وله وجه في العربية، وغبره لا يخفى ما فيه من تَكلُّف وبُعد.

(١) نسبه الماوردي للسدي في النكت والعيون٥/١٩

(٢) البحر المحيط٧/٣٣٨

(٣)نسبه الماوردي لعلي بن أبي طالب ﷺ في النكت والعيون٥/١٩، وأبوحيَّان في البحر المحيط٧/٣٣٨

(٣٥٢) قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ يس: ٧١

﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾

أي: مما أمرنا. وأنت تقول: الشيء في يدي، وليس في يدك، تريد إيجابه[1].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: ما عُمِل بأمرِنا وفعلِنا لم يفعله أحدٌ معنا.

قول الجمهور[2].

الثاني: ما عملنا بقوتنا.

قاله ابن عطية [3].

النتيجة:

القول المختار قول الجمهور.

قال ابن عثيمين: أي مما عملنا، وليس المعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق هذ الأنعام بيده، لو كان أراد ذلك سبحانه وتعالى وكان الواقع كذلك لقال:(مما عملنا بأيدينا) كما قال تعالى في آدم يخاطب إبليس:﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ص: ٧٥، فهنا أضاف الخلق إلى نفسه وجعل المخلوق به اليد، أما هنا فأضاف العمل إلى اليد ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ فهو

(١) مجالس ثعلب٢/٤٠٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٩/٤٨٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣٢٠١، ومعالم التنزيل٧/٢٧، والبحر المحيط٧/٣٤٧، وفتح القدير٤/٣٨١

(٣) المحرر الوجيز٤/٤٦٣، ونسبه الماوردي في النكت والعيون للحسن٥/٣١.

كقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ الشورى: ٣٠، وما أشبهها مما يضاف فيه الفعل إلى اليد، والمراد الإنسان[1].

(١) تفسير سورة يس:٢٥٨، وينظر: التدمرية:٧٣-٧٤

سورة الصافات

(٣٥٣) قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الصافات: ١٢

وقال أبو العبَّاس في قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾

من نصب أراد: بل عجبتَ يا محمد وهم يسخرون، ومن ضم قال: ليس العجب من الله كمثلنا منا، لأنه قد عَلِمَ قبل أن يكون. فهو بضدِّ عجباً. أي: أريكم الآيات طول الزمان، فالعجب منكم ألا تفهموا.

ثم قال بعد: هو منه رحمة، لو أنك خاطبت من لا يَعلم ولا يَفهَم وأنت تَعلَمه، لقلت شبيهاً بالمتعجب: ليس بذاك. لا يَفهَم ولا يَفْهِم، تَعلَمِه ذلك، رحمة منك له ورِقَّة، ولا تزال توقِّفه[1].

الدِّراسة:

قرأ حمزة والكسائي بالضم، وقرأ الجمهور بالفتح[2].

واختلف العلماء في توجيه قراءة الضم مَن يكون الفاعل؟

الأقوال:

الأول: الفاعل المؤمنين. أي: تتعجبون من إنكارهم وتكذيبهم وهم مع ذلك يسخرون.

قال أبو حيَّان عن العَجَب من الله: صفة فعل يظهرها الله تعالى في صفة المتعجب منه ، من تعظيم أو تحقير حتى يصير النَّاس متعجبين منه[3].

قاله مكي[4]، وابن عطية[5]، وأبو حيَّان[6].

الثاني: الفاعل الرَّسولﷺ. والمعنى: قل لهم يا محمد بل عجبت من تكذيبكم وتسخرون.

جوزه النَّحاس[7].

الثالث: الفاعل الله تعالى، وفي معنى العجب من الله تعالى أقوال:

---

(١) مجالس ثعلب١/١٥٨

(٢) السَّبعة:٣٨٥، وجامع البيان، للداني٤/١٥٢٤

(٣) البحر المحيط٧/٣٥٤

(٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع٢/٢٢٣

(٥) المحرر الوجيز٤/٤٦٧

(٦) البحر المحيط٧/٣٥٤

(٧) معاني القرآن٦/١٦

الأول: إنكار من الله تعالى لحال المشركين بسبب تكذيبهم وشركهم بعد ما جاءتهم الآيات البيِّنات، وهذا التعجب بسبب مخالفته للعادة، فنثبت هذه الصفة لله تعالى كما أثبتها تعالى في كتابه بما يليق بجلاله وعظيم سلطانه بلا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

قاله الفرَّاء[١]، وابن جرير[٢]، والزَّجاج[٣]، والنَّحاس[٤]، والواحدي[٥].

الثاني: عَظُم حِلمُ الله تعالى عليهم بعدم استعجالهم بالعقوبة.

قاله الأزهري[٦].

النتيجة:

الراجح أن صفة العَجَب من الصفات التي وصف الله بها نفسه وثبتت في كتابه، فالواجب أن نثبتها له كما أثبتها هو سبحانه لنفسه بما يليق بوجه وعظيم سلطانه.

وعِلَّة من نفى العَجَب عن الله أو قام بتأويله أنه يرى العَجَب استعظام لشيء يلزم منه نقص علم بذلك الشيء، والله تعالى ذو العلم التام الشامل الواسع لا يخفى عليه شيء في الأر ض ولا في السَّماء.

والحقيقة أن العَجَب في اللغة تعظيم ما يرد لقلة اعتياده[٧]، والنَّظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد، ولا يلزم منه نقص علم، فالله تعالى يُعَظِّم هذا الأمر من المشركين مع علمه بوقوعه منهم، لكن تعظيمه لذلك هو بسبب مخالفته للعادة.

قال الفرَّاء: والعَجَبُ وإن أسند إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد[٨].

وأما قول ثعلب -رحمه الله- :(**هو منه رحمة**) فليس تأويلاً للعجب، بل بيان سبب من أسبابه، وهو الإمهال وعدم الأخذ بالحال.

---

(١) معاني القرآن٢/٣٨٤

(٢) جامع البيان١٩/٥١٣

(٣) معاني القرآن٤/٣٠٠

(٤) معاني القرآن٦/١٦

(٥) التفسير البسيط١٩/٢٦

(٦) القراءات وعلل النحويين فيها٢/٥٧٥

(٧) ينظر: لسان العرب، مادة(ع ج ب)

(٨) معاني القرآن٢/٣٨٤، وينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية٦/١٢٠

(٣٥٤) قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ ﴾ الصافات: ٢٢

﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾

قال: المعنى: وقرناءهم [١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: أمثالهم، وأشباههم، وأشياعهم، وأتباعهم، وضرباؤهم.

وهو قول جمهور المفسِّرين[٢].

الثاني: قرناؤهم من الشياطين.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والضَّحاك، ومقاتل[٣].

الثالث: أزواجهم من المشركات.

روي عن الحسن[٤].

النتيجة:

الأزواج: جمع زوج، والزوج هو الفرد الذي له مخالط وشريك ومثيل ، فللرجل والمرأة أزواج، لأنهما مشتركان في عقد النكاح، والمشركون وأمثالهم أزواج، لأنهم مشتركون في الشرك[٥].

والقول المختار الأول، لشموله وعمومه، ولا دليل على التخصيص، وهو قول الجمهور.

---

(١) مجالس ثعلب٢/٤٧١

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٩/٥١٩-٥٢١، وتفسيرالقرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣٢٠٨، ومعاني القرآن، للزجاج٤/٣٠١، ومعاني القرآن، للنحاس٦/٢٠، والتفسير البسيط١٩/٣٢، ومعالم التنزيل٧/٣٧

(٣) ينظر: الكشف والبيان٨/١٤١، والتفسيرالبسيط١٩/٣٣، ومعالم التنزيل٧/٣٧

(٤) ينظر: الكشف والبيان٨/١٤١، ومعالم التنزيل٧/٣٧

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة(ز و ج)

(٣٥٥) قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ﴾ الصافات: ٢٨

﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾

قال: عن طريق الدين (١).

الدِّراسة:

للمفسِّرين في معنى﴿ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴾، أوجه عدة منها:

الأول: يأتونهم عن طريق الدين، فتفتنوننا عن طاعة الله، وتشككوننا في الدين.

قول الجمهور(٢).

الثاني: يأتونهم من قبل الدين، ويقولون لهم: إن الحق ما جئناكم به.

قاله الزَّجاج(٣).

الثالث: اليمين هنا بمعنى القوة والقدرة، والمعنى: تُغوننا بالقوة عن الدين.

قاله الفرَّاء(٤).

الرابع: من باب قول فلان عندي باليمين، أ ي بالمنزلة الحسنة، والمعنى: إنكم كنتم تخدعوننا وترونا أننا عندكم بالمنزلة الحسنة، فوثقنا بكم وقبلنا عنكم(٥).

الخامس: من باب العهد والحلف، فوثقنا بعهودكم وقبلنا منكم(٦).

النتيجة:

القول المختار القول بالصد عن الدين الحق والدعوة إلى الدين الباطل، وهذا يشمل ا لقول الأول والثاني.

ولو أراد اليمين بمعنى القوة أو القسم لكان الأولى أن يقول(باليمين) و لم يقل(عن اليمين).

---

(١) مجالس ثعلب١/١٥٩

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٩/٥٢٤-٥٢٦، وتفسيرالقرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣٢٠٩، ومعاني القرآن، للنحاس٦/٢٢، والتفسير البسيط١٩/٣٧، ومعالم التنزيل٧/٣٨

(٣) معاني القرآن٤/٣٠٢، وينظر: التفسير البسيط١٩/٣٨

(٤) معاني القرآن٢/٣٨٤

(٥) ينظر: التفسير البسيط١٩/٣٨

(٦) ينظر: التفسير البسيط١٩/٣٨، ومعالم التنزيل٧/٣٨

وأما القول بأن المراد المنزلة الحسنة، فهذا يحمل على غير الأولى والمشهور، والأولى أن يحمل كلام الله تعالى على المشهور.

(٣٥٦) قوله تعالى: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الصافات: ٥٨

وقوله عز وجل: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴾

هذا الألف استفهامٌ منهم تعجُّباً[1].

الدِّراسة:

قال الشَّوكاني: والهمزة للاستفهام التقريري، وفيها معنى التعجيب، والفاء للعطف على محذوف، كما في نظائره، أي: نحن مخلَّدون مُنَعَّمون فما نحن بميتين ﴿ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ ﴾ الصافات: ٥٩ التي كانت في الدنيا، وقوله هذا كان على طريقة الابتهاج، والسرور بما أنعم الله عليهم من نعيم الجنَّة الذي لا ينقطع، وأنهم مخلَّدون لا يموتون أبدا[2].

(١) مجالس ثعلب١/٢١٧

(٢) فتح القدير ٤/٣٩٧، وينظر: وتفسير مقاتل بن سليمان ٣/٩٩، والتفسير البسيط ١٩/٥٨، والجامع لأحكام القرآن١٨/٣٩-٤٠

(٣٥٧) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ الصافات: ٦٧

﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾

أي: خلطا، وكل خلط فهو شوب [١].

الدِّراسة:

والمعنى: يخلط ويمزج الحميم بالزقوم في بطونهم، فيجمع لهم بين مرارة المأكول وحرارة المشروب، وقطع الأمل في الخروج ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾ الصافات: ٦٢ – ٦٨

وهذا قول المفسِّرين في الآية[٢].

والشَّوْب في اللغة: الخلط والمزج، يقال: شِبتُ الشيء بالشيء إذا خَلطتُه، ومَزجتُه[٣].

---

(١) مجالس ثعلب١/١١٧

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء٢/٣٨٧، وجامع البيان، للطبري١٩/٥٥٤-٥٥٥، ومعاني القرآن، للزجاج ٤/٣٠٧، ومعاني القرآن، للنحاس٦/٣٥، والتفسير البسيط١٩/٥٨

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ش و ب)

(٣٥٨) قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الصافات: ٧٧

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾

قال: جعل الأنبياء من ذريته، ثم جعل الأنبياء بعده من ذرية إبراهيم.

وهم الباقون إلى الآن، يعني سائر النَّاس [١].

الدِّراسة:

قال مقاتل: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ ﴾ ولد نوح ﴿ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ ، وذلك أن أهل السفينة ماتوا ، ولم يكن لهم نسل غير ولد نوح، وكان النَّاس من ولد نوح، فلذلك قال: ﴿ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[٢].

وقال ابن جرير بعد ذكر هذا المعنى: وبذلك جاءت الآثار، وقالت العلماء[٣].

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٦١

(٢) تفسير مقاتل٣/١٠١

(٣) جامع البيان ١٩/٥٦٠، وينظر: التفسير البسيط ١٩/٦٧، ومعالم التنزيل ٧/٤٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٧/٢٢-٢٣

(٣٥٩) قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الصافات: ٧٨

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾

قال: تركنا له من يدعو له[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: تركنا ثناء حسناً له. ومفعول (تركنا) محذوف وهو الثناء الحسن.

روي هذا المعنى عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، والسُّدِّي[٢]، وقال به ابن جرير[٣]، وابن عطية[٤]، والقرطبي[٥]، وأبو حيَّان[٦].

الثاني: أن قوله: ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الصافات: ٧٩ في موضع نصب مفعولاً بـ(تركنا)، والمعنى: تركنا له سلاماً يسلمون له تسليماً، أي: يدعون له إلى يوم القيامة[٧]. قاله الفرَّاء[٨]، والمُبرِّد[٩]، والزَّجاج[١٠].

ويؤيد هذا القول قراءة ابن مسعود ﷺ (سلاماً)[١١]، وهي قراءة شاذة، لكن القاعدة تقول معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة.

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٦١

(٢) ينظر:جامع البيان، للطبري١٩/٥٦١-٥٦٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣٢١٨

(٣) جامع البيان١٩/٥٦١

(٤) المحرر الوجيز٤/٤٧٧

(٥) الجامع لأحكام القرآن١٨/٤٧

(٦) البحر المحيط٧/٣٦٤

(٧) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس ٣/٤٢٧، والبيان في إعراب غريب القرآن ٢/٢٥٥، وإملاء ما من به الرحمن٢/٢٠٦، والدر المصون٩/٣١٧

(٨) معاني القرآن٢/٣٨٧

(٩) معاني القرآن، للنحاس٦/٣٧، وإعراب القرآن، للنحاس٣/٤٢٧، وإعراب القراءات الشواذ٢/٣٨٠

(١٠) معاني القرآن٤/٣٠٨

(١١) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس٣/٤٢٧، والبحر المحيط٧/٣٦٤

النتيجة:

الراجح الأول لأن فيه تأسيس لمعنى إضافي وهو الثناء الحسن لنوح عليه السلام، والآية الثانية فيه إثبات الدعاء له، وهو الموافق للقراءة المتواترة.

(٣٦٠) قوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ الصافات: ٨٨ - ٨٩

وأُثْبِتَ لنا عن أحمد بن يحيى، أنه قال في قوله: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴾، قال: جَمْعُ نجم، وهو ما نَجم من كلامهم لّما سأَلوه أن يخرج معهم إلى عِيدهم، قال: ونَظَرَ هنا، تَفكَّرَ لِيُدَبِّر حُجَّة، فقال: ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ الصافات: ٨٩ **أي: سقيم من كفْرِكُم**[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: يراد بالنجوم التي في السَّماء، وكان قومه أهل تنجيم، ويستدلون بالنجوم على الأشياء، كوقوع بعض الأمراض ونحو ذلك، فأراد إبراهيم عليه السلام أن يتهرب من المشاركة معهم في عيدهم ويكيد لأصنامهم بتكسيره ا حتي بين لهم أنها لا تنفع ولا تضر، فقال إني سقيم بمرض الطاعون، فهربوا منه حتى لا يعُدِيهم ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الصافات: ٩٠. قول الجمهور[٢].

الثاني: قول ثعلب -رحمه الله- ومعنى النجوم ما نجم منهم من كلام.

الثالث: وهذا قول آخر في معنى ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ قالوا: إنها كلمة فيها مِعراضٌ، ومعناها أن كل من كان في عُقبةِ الموتِ فهو سقيمٌ وإن لم يكن به سُقمٌ.

وقاله الحسن[٣]، والمُبرِّد[٤].

النتيجة:

الراجح الأول وهو قول الجمهور، والموافق لظاهر النص، ويؤيده حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **(لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله، قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾....) الحديث**[٥].

---

(١) تهذيب اللغة١١/٨٨، وينظر: التفسير البسيط١٩/٧١، ولسان العرب١٢/٥٧١

(٢) ينظر: معاني القرآن٢/٣٨٨، وجامع البيان ١٩/٥٦٦-٥٦٨، ومعاني القرآن، للزجاج ٤/٣٠٨، ومعاني القرآن، للنحاس٦/٤١، ومعالم التنزيل٧/٤٤، والبحر المحيط٧/٣٦٦

(٣) ينظر: معاني القرآن، للنحاس٦/٤٠، والكشف والبيان٨/١٤٨، والنكت والعيون٥/٥٥

(٤) ينظر: معاني القرآن، للنحاس٦/٤١

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله: ﴿ ٱلْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ ٱلْأَنْبِيَاءِ ﴾ النساء: ١٢٥ ،

(٣٦١) قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ ﴾ الصافات: ١٠٩

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ ﴾

قال: سلام، حكاية[1][2].

(٣١٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، (٢٣٧١)

(١) مجالس ثعلب١/٢٦١

(٢) سبق الكلام عن معنى السلام على النَّبي عليه السلام في آية:٧٨، من سورة الصافات.

(٣٦٢) قوله تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ الصافات: ١٢٥

قال ثعلب: اختلف النَّاس في قوله عز وجل ها هنا: ﴿بَعْلًا﴾ فقالت طائفة: البعل ها هنا الصنم، وقالت طائفة، البعل ها هنا مَلِكٌ ، وقال ابن إسحاق[١]: امرأةٌ كانوا يعبدونها . والأول أكثر[٢].

الدِّراسة:

جمهور المفسِّرين على القول الأول وأن البعل هو الرب والإله، ويراد به الصنَّم الذي يبعدونه من دون الله تعالى[٣].

والبعْل في اللغة السيِّد والمالك والرب، ومنه سمي الصنَّم بعْلًا[٤].

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٩/٦١٤

(٢) الجامع لأحكام القرآن١٨/٨٦

(٣) ينظر: جامع البيان ١٩/٦١٢-٦١٤، ومعاني القرآن، للزجاج ٤/٣١٢، ومعاني القرآن، للنحاس ٦/٥٤-٥٥، والتفسير البسيط١٩/٩٨، ومعالم التنزيل٧/٥٨

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ب ع ل)

(٣٦٣) قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ ﴾ الصافات: ١٣٠

وقال أبو العبَّاس: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠ ﴾

مثل: إدريسين. (آل ياسين): أهل ياسين [1].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- في توجيه القراءات، فقرأ نافع، وابن عامر بالمد(سلام على آل ياسين) بفتح الألف وكسر اللام، والمعنى: سلام على أهل ياسين، والمراد أهله في الدين، وهو داخل معهم في السلام.

وقرأ باقي السَّبعة من القراء بدون مد(سلام على إل ياسين) بكسر الهمز، وسكون اللام، فجعل جمعاً منسوباً إلى (إلياس) المعنى: سلام على كل من نُسب إلى هذا النَّبي عليه السلام من أمته المؤمنين[2].

(١) مجالس ثعلب١/٩

(٢) ينظر:السَّبعة:٣٨٦، وجامع البيان، للداني ١٥٢٨/٤، والكشف عن وجوه القراءات ٢٢٧/٢-٢٢٨، وحجة القراءات:٦١٠

(٣٦٤) قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الصافات: ١٦١ - ١٦٣

فسَّره ثعلب فقال: لا تقدرون أن تفتنوا إلا من قضي عليه أن يدخل النَّار.

وعُدِّيَ (بفاتنين) بـ(على) لأن فيه معنى قادرين، فعداه بما كان يعُدى به قادرين لو لفظ به[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: معنى قول ثعلب -رحمه الله- أن (بفاتنين) مضمن معنى القدرة لذلك سبق بـ(على)، والمعنى: لستم أنتم وآلهتكم قادرين على الإضلال، إلا من كتب الله له أن يكون من أهل الجحيم.

وهذا القول على أن ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ معطوف على اسم (إن)، و(ما) نافية، و(أنتم) اسمها أو مبتدأ، وفيه تغليب المخاطب على الغائب .

قاله العُكبري[٢]، وأبو حيَّان[٣]، والسَّمين الحلبي[٤].

الثاني: ما أنتم عليه من الشرك لستم بمضلين أحداً، إلا من كتب الله له أن يكون من أهل الجحيم.

وهذا القول على الاستئناف.

روي هذا المعنى عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والحسن[٥]، وقال به الفرَّاء[٦]، وابن جرير[٧]، والزَّجاج[٨]، .....

(١) المحكم والمحيط الأعظم٥٠٢/٩، وينظر: لسان العرب٣١٩/١٣

(٢) إملاء ما من به الرحمن٢٠٨/٢

(٣) البحر المحيط٣٧٨/٧

(٤) الدر المصون٣٣٦/٩

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٦٤٨/١٩

(٦) معاني القرآن٣٩٤/٢

(٧) جامع البيان٦٤٧/١٩

(٨) معاني القرآن٣١٥/٤

والبغوي[1]، وابن الجوزي[2].

الثالث: أن على بمعنى الباء، والمعنى: ما أنتم بآلهتكم التي تعبدونها بمضلين أحداً.

روي هذا المعنى عن قتادة[3]، ومقاتل[4]، وقال به النَّحاس[5].

النتيجة:

المختار القول الأول، لأنه يجعل (على) على بابها، وهو أقوى من القول بالاستئناف.

قال أبو حيَّان: وقطع﴿ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴾عن﴿ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴾ ليس بجيد، لأن اتصافه به هو السابق إلى الفهم مع صحة المعنى فلا ينبغي العدول عنه[6].

(١) معالم التنزيل٧/٦٣

(٢) زاد المسير٧/٩٢

(٣)ينظر: جامع البيان، للطبري١٩/٦٤٩

(٤) تفسير مقاتل٣/١١٠

(٥) معاني القرآن٦/٦٧

(٦) البحر المحيط٧/٣٧٨، وينظر: إملاء ما من به الرحمن٢/٢٠٨، والدر المصون٩/٣٣٦

سورة ص

(٣٦٥) قوله تعالى: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ ﴾ ص: ١

فإن قيل: أين جواب القسم بقوله: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾

فعنه خمسة أجوبة:

أحدها: أن ص جواب لقوله: ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ فـ ﴿ صٓۚ ﴾ في معناها، كقولك : وجب والله، نزل والله، حق والله، قاله الفرَّاء[١]، وثعلب.

والثاني: أن جواب ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ قوله: ﴿ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ ﴾ ص: ٣، **ومعناه: لكم، فلما طال الكلام حذفت اللام، ومثله ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ ﴾** الشَّمس: ١ **﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ﴾** الشَّمس: ٩، **فإن المعنى: لقد أفلح، غير أنه لما اعترض بينهما كلام تبعه قوله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ﴾ حكاه الفرَّاء[٢]، وثعلب أيضاً.**

والثالث: أنه قوله: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾ ص: ١٤، **حكاه الأخفش[٣].**

والرابع: أنه قوله: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤ ﴾ ص: ٦٤ ، **قاله الكسائي[٤]، وقال وقال الفرَّاء: لا نجده مستقيماً في العربية لتأخره جداً عن قوله: ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ﴾[٥] .**

والخامس: أن جوابه محذوف، تقديره : والقرآن ذي الذكر، ما الأمر كما يقول الكفار . ويدل على هذا المحذوف قوله : ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ۝٢ ﴾ ص: ٢ ، **ذكره جماعة من المفسِّرين[٦]، وإلى نحوه ذهب قتادة[٧] [٨].**

---

(١) معاني القرآن٢/٣٩٦

(٢)معاني القرآن٢/٣٩٧

(٣)معاني القرآن٢/٤٥٣

(٤) ينظر: التفسير البسيط١٩/١٣٧، وقال به الزَّجاج، ينظر:معاني القرآن٤/٣١٩

(٥)معاني القرآن٢/٣٩٧

(٦) جامع البيان، للطبري٢٠/٩، والتفسير البسيط١٩/١٣٨

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري٢٠/٩

(٨) زاد المسير٧/٩٨-٩٩، وينظر: الدر المصون٩/٣٤٤-٣٤٥

النتيجة:

ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- مجمل الأقوال في جواب القسم، ولا شك أن الأولى في جواب القسم أن يأتي مباشرة بعد القسم، وإذا أمكن وقوع ذلك -كما روي عن قتادة- فالأولى القول به، والله أعلم.

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي قاله قتادة ، وأن قوله : ﴿ بَلِ ﴾ لمَّا دلت على التكذيب ، وحلَّت محل الجواب، استغني بها من الجواب إذ عرف المعنى، فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك، ص والقرآن ذي الذكر، ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون، بل هم في عزة وشقاق[1].

(١)جامع البيان٢٠/١١

(٣٦٦) قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ ص: ٣

﴿مَنَاصٍ﴾

مَذْهَب (١).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: مفر، وتأخر.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، والضَّحاك (٢)، وقاله الفرَّاء(٣)، ومكي(٤).

الثاني: ملجأ، ومُغَاث.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وابن زيد(٥)، وقاله الراغب(٦).

الثالث: ملجأ ومفر.

قاله ابن جرير(٧)، والنَّحاس(٨)، والسَّمين الحلبي(٩).

الرابع: تقدم.

قالوا: النَّوص من الأضداد، بمعنى التقدم والتأخر(١٠).

روي عن السدِّي(١١).

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٩٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٢٠/١٣-١٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣٢٣٦

(٣) معاني القرآن٢/٣٩٧

(٤) تفسير المشكل من غريب القرآن:٢٠٩

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٢٠/١٣-١٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٠/٣٢٣٦

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(ن و ص)

(٧) جامع البيان٢٠/١٢

(٨) معاني القرآن٦/٧٨

(٩) عمدة الحفاظ، مادة(ن و ص)

(١٠) ينظر: النكت والعيون٥/٧٨، وعمدة الحفاظ، مادة(ن و ص)

(١١) ينظر: جامع البيان، للطبري٢٠/١٤

والمعنى: لما رأوا الموت لم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة، فقالوا: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾

النتيجة:

مناص مصدر من ناص ينوص، والمناص: الملجأ والمهرب والمفر[1].

هذا القول الراجح في معنى ﴿مَنَاصٍ﴾.

وأما القول بالتقدُّم وإن كان من الأضداد فهو قليل.

(١) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ن و ص)

(٣٦٧) قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ ﴾ ص: ١٥

وقال أبو العبَّاس في قوله: ﴿ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴾

أي: من إفاقة. أي: إقلاع[1].

وقوله تعالى: (ما لها من فُواق) فسَّره ثعلب فقال: معناه من فترة[2].

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- في توجيه القراءات في الآية.

قرأ حمزة والكسائي بضم الفاء(فُواق) من فواق الناقة، وهي الفترة والزمن بين الحلبتين.

وقرأ باقي السَّبعة بالفتح(فَواق) من الإفاقة والراحة، يقال للمريض إذا قام من مرضه ، ورجع له عقله، واستراح أفاق[3].

(١) مجالس ثعلب١/١٦١

(٢) المحكم والمحيط الأعظم٦/٥٨٢، وينظر: لسان العرب١٠/٣١٨

(٣) ينظر: السَّبعة:٣٨٨، وجامع البيان،للداني٤/١٥٣٠، وشرح الهداية، للهدوي٢/٤٩٣، وحجة القراءات:٦١٣

(٣٦٨) قوله تعالى: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ ص: ٣٣

وأخبرني المنذري عن ثعلب أنه سُئِل عن قوله: ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ ﴾، وقيل له: قال قطرب: يمسحها، يُبَرِّك عليها. فأنكره أبو العبَّاس وقال: ليس بَشَيْء، قيل له: فَإيشْ هو عندك؟ فقال: قال الفرَّاء[١] وغيره[٢]: يضرب أعناقَها وسُوقَها: لأنها كانت سَبَبَ ذنبه[٣].

الدِّراسة:

في المسألة قولان، وهما ما ذكرهما الأزهري -رحمه الله-.

فالقول الأول روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٤]، وقال به ابن جرير[٥]، وابن عطية [٦]، وأبو حيَّان[٧].

قال ابن جرير: عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ يقول: جعل يمسح أعراف الخيل، وعراقيبَها، حُبًّا لَهَا.

وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عبَّاس أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله ﷺ لم يكن - إن شاء الله - ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويُهْلك مالاً من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب له باشتغاله بالنظر إليها[٨].

وقد جعل أبو حيَّان معنى الآية أن صلاته منعته من رؤية الخيل حتى دخلت اصطبلها، فأمر بردِّها عليه فمسح عليها حباً لها[٩].

---

(١) معاني القرآن٢/٤٠٥

(٢) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٤/٣٣١

(٣) تهذيب اللغة٤/٢٠٣، وينظر: والتفسير البسيط١٩/٢٠٤، ولسان العرب٢/٥٩٥، والتحرير والتنوير٢٣/٢٥٨

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٢٠/٨٧، وتفسير القرآن العظيم١٠/٣٢٤١

(٥) جامع البيان٢٠/٨٧

(٦) المحرر الوجيز٤/٥٠٤

(٧) البحر المحيط٧/٣٩٦

(٨) جامع البيان٢٠/٨٧

(٩) ينظر: البحر المحيط٧/٣٩٦

والقول الثاني روي عن الحسن، والسدِّي[1]، وقال به الزَّجاج[2]، والبغوي[3]، وابن كثير[4].
كثير[4].

النتيجة:

المختار القول الثاني، لأن أصحاب القول الأول استشعروا أن هذا فساد في الأرض، وإضاعة للمال وليس كذلك، لأنه أراد بذبحها تكفيراً لشغلها له عن الصلاة، ول يأكلها الفقراء والمحتاجين، لأن أكل الخيل مباح عندهم، وبذلك لم يكن ذبحها فساداً في الأرض.

وأبو حيَّان هرب إلى تنزيه سليمان عليه السلام من قتل الخيل وقطع سوقها، ووقع في دعوى أن سليمان عليه السلام أشغلته الصلاة عن الخيل!!!

قال ابن كثير: وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر ، لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا، ولا سيَّما إذا كان غضباً لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت صلاة العصر ، ولهذا لما خرج عنها لله تعالى ، عوضه الله عز وجل ما هو خير منها، وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب، غدوها شهر، ورواحها شهر، فهذا أسرع وخير من الخيل[5].

(١) جامع البيان، للطبري٢٠/٨٦

(٢)معاني القرآن٤/٣٣١

(٣) معالم التنزيل٧/٩٠

(٤) تفسير القرآن العظيم٧/٦٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن١٨/١٩٧

(٥) تفسير القرآن العظيم٧/٦٥

(٣٦٩) قوله تعالى :﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ ص: ٧٥

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ص: ٧٥

قال: يقال: الشيء في يَدِي ويَدَيَّ، ونظرت إليه بِعَيني وبعَيْنَيَّ، إذا كان الواحد يدل على الاثنين، والاثنان يدلان على الواحد، جاز هذا[١].

الدِّراسة:

تحدث ثعلب –رحمه الله– عن جواز التعبير عن اليدين باسم الجنس، وبصيغة التثنية، لدلالة الجميع على التثنية.

ومذهب أهل السنة والجماعة يثبتون اليد لله تعالى، وأن له يدان، وكلتا يداه يمين، بلا تمثيل ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف كما قال تعالى:﴿ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ ﴾المائدة: ٦٤، وقال ﷺ:**(إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ على مَنَابِرَ من نُورٍ، عن يَمِينِ الرحمن عز وجل، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ ، وَأَهْلِيهِمْ، وما وَلُوا)[٢][٣].**

قال ابن عثيمين: أن الله تعالى خلق آدم بيده، وخلق غير آدم من الشياطين والملائكة بكلمته، أي: بقول كن، أما آدم فبيده، وهذا وجه الميزة والخصيصة لآدم عليه السلام أن الله خلقه بيده[٤].

قال تعالى:﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ ﴾ ص: ٧١ – ٧٢، وقال سبحانه :﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠ ﴾ النحل: ٤٠

---

(١) مجالس ثعلب١/١٧٤

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، رقم(١٨٢٧)، من حديث زهير.

(٣) ينظر: مسألة آية:٧١ من سورة يس.

(٤) تفسير سورة ص:٢٣٨

كما أن في ذلك تعريض بفضل آدم عليه السلام حيث تولَّى الله خلقه بيده، وأي ميزة وفضل لآدم على غيره من المخلوقات ثم لم يكن تعالى قد تولَّى خلقه بيديه؟

(٣٧٠) قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾ ص: ٨٤

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل:(قال فالحقَّ والحقَّ أقول)

أراد: فأقول الحقَّ حقاً.

ومن رفع قال: فأنا الحقُّ والحقُّ قولي، وأقول في صلة الحقِّ، والحقُّ يمين.

ومن قال: ﴿ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ ﴾ قال: فأنا الحق وأقول الحق(١).

قال: ولو خفض فقال: (قال فالحقِّ والحقِّ) لجاز بجعله قسماً .

قال: وسُمع: اللهَ لآتينَّك ، والحقَّ لآتينَّك .

قال: إذا جاء بالأسماء في الأقسام ومعها واو خَفضَ، وإذا أسقط الواو نصب، اللهَ لآتينَّك .

وزعم أن الأسماء لِمَ تدخل فيها الواو تُخفّض، وتخرج الواو فتخفضَ وترفعَ ولا يجوز النصب إلا في حرفين(٢).

الدِّراسة:

قول ثعلب –رحمه الله– في توجيه القراءات في الآية.

قرأ عاصم، وحمزة بالضم: ﴿ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ ﴾، وقرأ باقي السَّبعة بالنصب في الحقَّين.

من رفع (فالحقُّ) يحتمل وجهين:

الأول: أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، تقديره: أنا الحقُّ والحقَّ أقول.

الثاني: أن يكون مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: فالحق مني.

ومن نصب يحتمل وجهين:

الأول: أن يكون منصوباً بفعلٍ مضمر، والتقدير: قال اتبعوا الحقَّ، أو فأُحِقُّ الحقَّ.

---

(١) مجالس ثعلب١/٣١٦

(٢) مجالس ثعلب١/٣٢٣

الثاني: أن يكون منصوباً على القسم، كما تقول : اللهَ لأفعلنّ، لما حُذف حرف القسم، تعدَّى الفعلِ فنصبه، ودل على القسم قوله بعد هذه الآية: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ ص: ٨٥ وأما (الحقَّ) الثانية فمنصوبة بـــ(أقول) والتقدير: أقول أنا الحق، أو منصوبة على العطف، على قراءة النصب(١).

وأما قراءة الجر، فهي قراءة شاذة على معنى القسم، كما أشار إلى ذلك ثعلب -رحمه الله- (٢).

قال ابن خالويه: جعله قسماً، والصواب أن يخفض الثانية لأن القسم يكون بالواو، ولا يكون بالفاء(٣).

النتيجة:

كل الأوجه في القراءتين الصحيحتين محتمل، ولكن الأظهر منهما والأقرب الوجه الأول في توجيه كل قراءة، والله أعلم.

(١) ينظر: السَّبعة:٣٩٢، وجامع البيان، للداني ١٥٣٥/٤، والكشف وعن وجوه القراءات السبع ٢٣٤/٢، وحجة القراءات:٦١٨

(٢)قرأ بها عيسى بن عمر، ينظر: مختصر الشواذ:١٣٠، وإعراب القراءات الشواذ٤٠٢/٢

(٣)مختصر الشواذ:١٣٠